من أسرار التكرار في القرآن

والآيات المتشابهات

تأليف

السيد حامد السيد على

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

رقم الإيداع ٧٤٣٦ / ٩٨
I.S.B.N.
977 - 14 - 6157 - 8

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨)

صدق الله العظيم

سورة يونس (الآيتان ٥٧ ، ٥٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ .

سورة الزمر الآية ٢٣

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، وأشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأصلى وأسلم على أشرف المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ ، وعلى آله وصحبه والتابعين .

أما بعد

قال الله تعالى فى محكم التنزيل ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّه ﴾ (١) نعم ، إنها مشيئة العليم الحكيم الذى يسر علينا البحث فى موضوع (التكرار والتشابه) فى كتابه الجليل ، إنها إرادته ـ سبحانه ـ من قبل ومن بعد ، وليس لنا من الأمر شئ إلا أن نتبع أسلافنا فيما أفاض الله عليهم ، ثم نطمع فى الرحمن الذى علم القرآن أن يمن علينا أيضا ولو بقليل ، ليكشف لنا سرا من أسرار بعض آيات كتابه الكريم ـ ومن هذا المنطلق جاء هذا الكتاب ، والذى أعتمدنا فيه :

أولاً : على توفيق الله لنا ، وطمعا فى عطائه ، وليبين لنا بعضا من مقصود آيات كتابه العزيز فهو القائل عز وجل ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ (٢)

ثانياً : اعتمدنا على كتاب « درة التنزيل وغرة التأويل » للخطيب الإسكافى برواية إبن أبى الفرج الأردستانى ـ والذى أخذنا منه ما تيسر لنا ، وما ظننا أنه يكون يسيرا على كل قارئ ينشد المعرفة عن « التكرار والتشابة » فى القرآن الكريم ولقد أفاض الخطيب الإسكافى فى كتابه الكثير من المسائل ، وأعقبها بأجوبة شافية ، والكتاب درة غالية و نفيسة .

ثالثاً : كان مصدرنا الثالث فى هذا البحث هو « كتاب البرهان » لتاج القراء

---

(١) (التكوير : ٢٩)　　(٢) (القيامة : ١٩)

محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى والذى حققه الاستاذ عبد القادر أحمد عطا فى كتابه « أسرار التكرار فى القرآن »

رابعاً : رجعنا إلى بعض كتب المعاصرين فوجدنا فيها القليل عن التكرار والتشابة فى القرآن الكريم ، ولكن فى مواضع متفرقة ، ليس يسيرا على كل قارئ أن يهتدى اليها .

ـ فأراد الله لنا أن نجمع بين كتب الأقدمين ، وكتب المعاصرين ، نأخذ من الذين أفاضوا فى الشرح والتحليل ، وممن أوجزوا ، وننقب فى كتب التفسير ، فيما أوردته عن هذه المسائل ، علنا نيسر على القارئ الكريم ذلك الجهد الجهيد الذى قد يبذله للوصول إلى كل هذه المصادر .

﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦) ﴾

والله من وراء القصد

المؤلف / **السيد حامد السيد**

محرم سنه ١٤١٩ هـ .

# # #

التكرار . . والتشابة فى القرآن

قال الحق سبحانه وتعالى ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي . . . ﴾(١)

ـ روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال عن صفة « مثانى » القرآن يشبه بعضه بعضا ، ويرد بعضه على بعض .

ـ ويقول الضحاك : مثانىَ ترديد القول ليفهموا عن ربهم عز وجل ، وقال عكرمة ، والحسن : ثنى الله فيه القضاء ، وزاد الحسن : تكون السورة فيها آية وفى السورة الأخرى آية تشبهها (٢) .

وللمفسرين آراء عديدة حول معنى هذه الآية الكريمة : نذكر منها (٣) .

الرأى الأول : أن القرآن « مثانى » بمعنى أن التكرير والترديد من أبرز سماته . . فى صيغه وتعبيراته ، وأخباره ، وقصصه ، وتوجيهاته .

الرأى الثانى : فحواه ـ أن القرآن ـ مثان : لما يتردد ويتجدد فيه من العجائب والأسرار والفوائد حالا بعد حال .

الرأى الثالث : لانه يثنى فى التلاوة فلا يمل . وفيه ﷺ أنه قال فى حديث له عن القرآن « لا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه . »

وقال الاستاذ / سيد قطب فى معنى « متشابها مثانى » [تكرار مقاطعه وقصصه وتوجيهاته ومشاهده ولكنها لا تختلف ولا تتعارض ، إنما تعاد فى مواضع متعددة ، وفق حكمة تتحقق فى الإعادة والتكرار وفى تناسق ، وفى استقرار على

---

(١) سورة الزمر (٢٣)

(٢) تفسير ابن كثير ج ٤ صـ ٥٠ ط / دار احياء الكتب العربية .

(٣) المثاني القرآنية : صـ ١٦ د . السيد عبد المقصود .

أصول ثابتة ، لا تعارض فيها ، ولا اصطدام] (١) . . وكما أن التكرار سمة من سمات القرآن الكريم فإن التكرار المتنوع الذى يمتزج فيه الإتفاق مع الاختلاف ، أصل معروف من أصول بناء هذا الكون الذى نعيش فيه وسر من أسرار تفاعله وتجدده ، وحركته الدائبة ، فلو كان كله متماثلا لانتهى إلى الرتابة والملل والجمود ، ولو كان مختلفا لانتهى إلى الفوضى والتمزق ، لكنه يمزج بين الجانبين دائما فيكون التألف والتفاعل والتجدد .

ـ كذا فانك إذا نظرت إلى صورتين لشخصين من بعد ، فتظن أنهما لشخص واحد ، ولكن حين تقترب منهما وتتفحصهما يتبين لك أنهما يتمايزان وإن كانا متشابهان (٢) .

كذا لو أعملنا الفكر ، وتدبرنا الآيات المتشابهات فى القرآن الكريم ، نجد أنه رغم التشابة فإن المعنى مختلف تماما حتى أن اللفظ الواحد . يأخذ معان متعددة كلفظ : الرحمة ـ والهدى ، وغيرها فى كتاب الله كثير .

وأصل « التشابة » أن يُشْبه اللفظ ، اللفظ في الظاهر ، والمعنيان مختلفان ، قال الله تعالى في وصف ثمرة الجنة ﴿ وأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ (سورة البقرة : ٢٥) أي متفق المناظر مختلف الطعوم ، ومنه يقال : اشتبه على الأمر ، إذا أشبه غيره فلم تكد تفرق بينهما ، وقد يقال لكل ما غمض ودق : متشابة .

والمتشابة يلفه الغموض ، وهذا الغموض نفسه لون من ألوان البلاغة لأنه حافز للعالم على البحث والتنقيب ، ثم ارتياد الآفاق وراء المعانى (٣) .

* * *

---

(١) في ظلال القرآن ج ٥ صـ ٣٠٤٨ ط / دار الشروق .

(٢) المثاني القرآنية : صـ ٤٤ .

(٣) تأويل مشكل القرآن : ابن قتيبة اعداد ودراسة د / عمر محمد سعيد صـ ٩١ وما بعدها .

من فوائد التكرار فى القرآن

ومن فوائد التكرار نذكر ما أورده الزركشى فى كتابه البرهان : (١) .

الأول : التأكيد : كقوله تعالى ﴿كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ﴾ (٢) .

الثانى : زيادة التنبية

الثالث : إذا طال الكلام وخشى تناسى الأول أعيد ثانيا تطرية له ، وتجديدا لعهده .

الرابع : فى مقام التعظيم والتهويل : كقوله تعالى ﴿الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ﴾ (٣)

الخامس : فى مقام الوعيد والتهديد

السادس : التعجب كقوله تعالى ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (٤) .

السابع : لتعدد المتعلق : كما فى قولة تعالى ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٥) .

تكرار القصص القرآنى

ومن الحكمة فى تكرار القصص القرآنى نذكر منها :

١) يقول ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) ـ رحمه الله ـ لبيان الحكمة من التكرار فى القرآن « . . . وكان الرسول ﷺ يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة ، فلو لم تكن الأنباء والقصص مثناة ، ومكررة لوقعت قصة موسى إلى قوم ، وقصة عيسى إلى قوم ، وهكذا ـ فأراد الله بلطفه ورحمته ، أن يشهر هذه القصص فى أطراف الأرض ويلقيها فى كل سمع ، ويثبتها فى كل قلب ، ويزيد الحاضرين فى

---

(١) لمعرفة المزيد راجع البرهان في علوم القرآن للزركشي ج ٣ صـ ١١ وما بعدها .
(٢) سورة التكاثر (٣ ، ٤) .
(٣) سورة الحاقة (١ ، ٢) .
(٤) سورة المدثر : (١٩ ، ٢٠) .
(٥) سورة الرحمن (٣٥) .

الإفهام والتحذير (١).

٢) تسلية لقلب النبى ﷺ قال الله تعالى ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ (٢).

٣) إن إبراز الكلام الواحد فى فنون كثيرة ، وأساليب مختلفة لا يخفى ما فيه من الفصاحة .

٤) أن الدواعى لا تتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الأحكام ، فلهذا كررت القصص دون الأحكام .

٥) أن الله تعالى أنزل هذا القرآن ، وعجز القوم عن الإتيان بمثل آية ، لصحة بنوءة محمد ﷺ ، ثم بين وأوضح الأمر فى عجزهم بأن كرر ذكر القصة فى غير موضع ، إعلاما بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأى نظم جاءوا (أو) بأى عبارة عبروا .

٦) أن المعانى التى أشتملت عليها القصة الواحدة من القصص ، صارت متفرقة فى تارات التكرير ، فيجد البليغ لما فيها من التغير ميلا إلى سماعها ، لما جُبلت عليه النفوس من حب التنقل فى الأشياء المتجددة التى لكل منها حصة من الالتذاذ به مستأنفة (٣).

ـ هذا بعض من التحدث عن سر عظيم من أسرار التكرار فى القران ، والآيات المتشابهات . وسوف نتناوله بمشيئة الله عبر صفحات كتابنا هذا ، نحاول أن نتعرف على القليل من الحكمة فى تكرار بعض آيات الذكر الحكيم أو تشابهها ، أو ما وقع فى بعضها من زيادة أو نقصان ، أو تقديم أو تأخير ، أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك مما يوجب اختلافا بينا بين الآيتين أو الآيات ـ وذلك من خلال بعض من سور الكتاب الكريم . . ونسأل الله التوفيق .

---

(١) تأويل مشكل القرآن : بتحقيق السيد أحمد صقر ط / دار التراث .
(٢) سورة هود (١٢٠) .
(٣) البرهان للزركشي ج ٣ صـ ٢٨ .

سورة الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٣ ﴾

(١) فى فاتحة الكتاب الكريم نرى ذلك التكرار الجليل فى قول الحق سبحانه وتعالى (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فلقد جاء ذكر الاسمين الجليلين للحق سبحانه وتعالى فى البسملة ثم كرر الذكر فى الآية الثالثة [١] فما هى حكمة هذا التكرار الشريف ؟

ـ **نقول والله أعلم** : بعد أن ذُكر الحمد لله رب العالمين المستحق له ، ناسب أن يذكر بعده رحمته بعباده في الدنيا الآخرة، وللإشعار فى مفتتح الكتاب المجيد بأن اعتناءه جل شأنه بالرحمة أشد وأكثر من اعتنائه بسائر الصفات ، ولبسط بساط الرجاء بأن مالك يوم الجزاء : رحمن رحيم .

فلا تيأسوا أيها المذنبون من صفحه عن ذنوبكم يوم الجزاء .

وقال العلماء أن : (بسم الله الرحمن الرحيم) قسم من ربنا أنزله عند رأس كل سورة ، (كأنه) يقسم لعباده : أن (ما أنزلته) لكم يا عبادى فى هذه السورة حق وإنى أوفى لكم بجميع ما ضَمنتُ فى هذه السورة من وعدى ولطفى وبرى . وقال بعض العلماء : أن « بسم الله الرحمن الرحيم » تضمنت جميع الشرع لأنها تدل على الذات وعلى الصفات . وهذا صحيح [٢] . وفى تكرار (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وصف نفسه تعالى بعد رب العالمين بأنه الرحمن الرحيم ، لأنه لما كان فى اتصافه برب العالمين ترهيب ، قرنه بالرحمن الرحيم لما تضمن من الترغيب ليجمع فى صفاته بين الرهبة والرغبة إليه فيكون أعون على طاعته وأمنع .

---

(١) اختلف العلماء في قول أن البسملة آية من سورة الفاتحة أو ليست آية منها . ولكل وجهته ولا مجال هنا لذكر أدلة كل فريق . . (راجع تفسير القرطبي ج ١ ص ١٤٠ ، ص ٩٤١) .

(٢) انظر القرطبى ج ١ ص ١٣٨ (بتصرف) .

سورة البقرة

(٢) قال الحق سبحانه وتعالى فى سورة البقرة

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ من الآية (٤٩)

﴿ . . يُذَبِّحُون . . ﴾ وفى سورة إبراهيم قال تعالى ﴿ . . وَيُذَبِّحُون . . ﴾ فى قوله تعالى ﴿ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ الآية (٦)

فما الفرق بين قوله ﴿ وَيُذَبِّحُون ﴾ (بالواو) فى سورة إبراهيم

وبدون واو ﴿ يَذَبِّحُون ﴾ فى سورة البقرة ؟ نقول والله أعلم

﴿ يُذَبِّحُون ﴾ التذبيح بدون الواو (العاطفة) جُعل تفسيرا للعذاب وبيانا له

(وَيُذَبِّحُون) حيث أثبت الواو جعل التذبيح غير العذاب ، لان العطف يقتضى المغايرة .

ـ قال القرطبى فى تفسيره ج١ ص٤٢٥ (وَيُذَبِّحُون) بالواو أى يعذبونكم بالذبح وبغير الذبح .

ويقول الكرمانى : مافى سورة البقرة من كلام الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ لم يُرد تعداد المحن عليهم ، فلم تأت (الواو) مع يذبحون أما فى سورة إبراهيم فمن كلام موسى عليه السلام ، ففى أول الآية ﴿ وإذ قال موسى ﴾ فعدد ذكر المحن عليهم : فذكرت بالواو : (ويذبحون) ، وكان عليه السلام مأمورا بذلك فى قول الحق له ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾

(الآية ٥ ـ سورة إبراهيم) .

(٣) وقال تعالى فى هذه السورة الكريمة

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُم رَغَدًا ﴾ : الآية ٥٨

وفى سورة الأعراف فى الآية (١٦١) جاء فيها

﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُم ﴾

ـ فى البقرة : فكلوا. ـ وفى الأعراف : وكلوا

لأن فى البقرة قيل ادخلوا ، والدخول سريع الانقضاء ، فيتبعه الأكل وفى الأعراف : ﴿ وإِذْ قِيْلَ لَهُمُ اسْكُنُوا ﴾ والمعنى : أقيموا فيها ، وذلك ممتد ، فذكر (بالواو) أى إجمعوا بين الأكل والسكن .

كذلك نجد أن فى البقرة زاد ﴿ رغدا ﴾ : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُم رَغَداً ﴾ ولم يزدها فى الأعراف . لأنه فى سورة البقرة أسند الحق سبحانه وتعالى (القول) إلى ذاته بلفظ التعظيم ، وهو قوله ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ﴾ . خلاف مافى الأعراف فإن فيه ﴿ وَإِذْ قِيلَ ﴾ .

(٤) قال العزيز الحكيم على لسان نبيه موسى عليه السلام فى الآية (٦١) ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُم ﴾ آمرا بنى إسرائيل أن يهبطوا مصرا عندما سألوا موسى أن يدعو الله أن يخرج لهم مما تنبت الأرض من بقلها وقثآئها وفومها وعدسها وبصلها .

وقال الحق سبحانه وتعالى فى (سورة يوسف) على لسان يوسف عليه السلام ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِين ﴾ (آية ٩٩)

هل (مصر) فى الآية الأولى هى (مصر) فى الآية الثانية . ؟

ـ نقول والله أعلى وأعلم .

(مِصْراً) الأولى غير مِصْرَ الثانية .

ـ فالأولى : أهبطوا أى مَصر من الأمصار ـ أى بلدا من البلدان لذا جاءت منونة (مصراً)

ـ أما الثانية : فهى مصر القطر المعروف لذا جاءت غير منونة فقال (مصر) .

وفى الأولى قال موسى : ﴿ اهْبِطُوا ﴾ وفى الثانية قال يوسف : (﴿ ادْخُلُوا ﴾ .

ـ فى الأولى يدل على أن بنى إسرائيل كانوا فى بقعة من الأرض مرتفعة فى تضاريسها عن الأمصار المجاورة لها . فقال لهم موسى ﴿ اهْبِطُوا ﴾ .

ـ وفى الثانية ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ ﴾ : مما قد يدل على أن مكان إقامة يوسف كانت على مشارف مِصَر ، فقال لهم يوسف ﴿ادْخُلُوا ﴾ . . فناسب كل أمر مكان تواجد القوم .

(٥) قال تعالى فى الآية (٦١) من سورة البقرة ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الحَقِ ﴾

وقال تعالى فى الآية (٢١) من سورة آل عمران ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍ ﴾ . كذا فى سورة النساء الآية (١٥٥) .

نتساءل أولا : هل يصح أن يقتل النبيون بحق حتى قال ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الحَقِ ﴾ ؟ . للإجابة عن هذا السؤال : نقول والله أعلم .

أن هذا خرج مخرج الصفة لقتلهم وأنه لا يكون إلا ظلما بغير حق كقوله تعالى ﴿ ومَن يَدعُ مَعَ اللّه إلـهًا آخَر لا بُرهَان لَه بِه ﴾ معناه أن ذلك لا يمكن أن يكون عليه برهان[١] .

السؤال الثانى : لِمَ قال فى سورة البقرة ﴿ بِغَيْرِ الحَقِ ﴾ وقال فى آية سورة آل عمران ﴿ بِغَيْرِ حَقٍ ﴾ نقول : ـ لأن مافى البقرة خص بنى إسرائيل بصفة خاصة فقال فيهم ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الحَق ﴾[٢] فالحق هنا معرف وهو الحق الذى كان

---

(١) أضواء على متشابهات القرآن ج١ ص ٦١ .

(٢) الآية (٦١) من سورة البقرة والتى تبدأ بقول الحق سبحانه ﴿ وإذ قلتم ياموسى . . ﴾

بشريعتهم لقتل النفس .

أما فى سورة آل عمران ذكر قتل النبيين ﴿ بغَيْرِ حَق ﴾ منكرة لأن الحديث فيها عن الذين يكفرون بآيات الله[١] . . فهم غير محددين بطائفة معينة ولكن عامة الكافرين الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق فكان التنكير أولى فقال فى سورة آل عمران : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَق ﴾ أى بغير حق فى معتقداتهم .

(٦) وقال تعالى فى سورة البقرة (الآية ١٢٦) ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ وقال تعالى فى سورة إبراهيم (٣٥) ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾

وللسائل أن يسأل فيقول : لِمَ كان فى سورة البقرة بلد نكرة : (بلداً آمنا) وفى سورة إبراهيم معرفة (البَلَد) .

الجواب : لأن الدعوة الأولى وقعت ولم يكن المكان قد جعل بلداً ، فكأنه قال اجعل هذا الوادى بلداً آمنا .

والدعوة الثانية وقعت وقد جُعل بلد . ففى سورة البقرة : سبقت هذه الآية الإشارة إلى تطهير الكعبة لتكون للناس مثابة وأمنا . وأعقبها رفع القواعد من البيت ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾[٢] فالبلدة لم تكن معروفة حينئذ عندما جاء إليها نبى الله إبراهيم وإسماعيل فناسب هنا أن تنكر البلدة ويشار إليها بـ ﴿ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ (فى الآيه ١٢٦ ـ سورة البقرة) .

أما فى سورة إبراهيم : فالدعاء بعد أن أقيمت الكعبة وأصبحت مكة معروفة فناسب ذلك المعنى قوله تعالى ﴿اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام ﴾ .

وقال ابن كثير فى تفسيره[٣] : عن قول الحق سبحانه وتعالى :

---

(١) الآية (٢١) من سورة آل عمران : ﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ﴾

(٢) سورة البقرة (١٢٧) .

(٣) تفسير ابن كثير ج١ ص ١٧٤ .

﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ : أى أجعل هـذه البقعة بلدا آمنا ، وناسب هـذا الدعاء (الموضع) لأنه قبل بناء الكعبة .

وفى سورة إبراهيم ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ ناسب هذا (الموضع) لأنه والله أعلم كأنه وقع دعاء مرة ثانية بعد بناء البيت واستقرار أهله به وبعد مولد إسحق الذى هو أصغر سنا من إسماعيل بثلاث عشر سنة ولهذا قال فى آخر الدعاء ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (١) .

(٧) وقال تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ (الآية (١٩٣)

ـ وقال الحق فى سورة الأنفال الآية (٣٩)

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾

جاء النسق القرآنى الجليل فى تلك الآيتين على ترتيب القتال داخل الجزيرة العربية وخارجها

ففى آية سورة البقرة : يراد به قتال كفار الجزيرة العربية داخلها لتكون القاعدة العربية الأولى التى يناط بها فى نشر الدعوة خارجها بعد ذلك . ثم جاء فى سورة الأنفال بعدها بتكرار الآية الكريمة وزاد فيها بـ (كله) إشارة إلى قتال جميع الكفار داخل وخارج الجزيرة العربية . .

وقد تطابق الترتيب مع الواقع : ورتبت الأوامر حسب تدرجها

الأمر بالقتال : داخل الجزيرة (كما أشارت الآية فى سورة البقرة) ثم الأمر بالقتال : داخل الجزيرة وخارجها (كما أشارت الآية فى سورة الأنفال بزيادة اللفظ (كله) فيها . . فهذا ليس بتكرار ولكن تدرج فى الأوامر .

وهذا من بديع أسرار ترتيب سور القرآن الكريم . . وبما يدل على أن ترتيب

---

(١) سورة إبراهيم الآية (٣٩) .

سور القرآن الكريم توقيفى من الله .

(٨) فى الآية (١٩٧) قال تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ نجد أنه قد تكرر ذكر « الحج » فى هذه الآية ثلاث مرات . . فهل كان يمكن للضمير أن يقوم مقام الإسم الظاهر : « الحج » ، أى أقول مثلا : ولاجدال فيه بدلا من ﴿ وَلاَ جِدَالَ فِي الحَجِّ ﴾ ؟ نقول أن هذا ليس بتكرار فى ذكر « الحج » ولكن كل ذكر له معنى مختلف عن الآخر :

ـ فالكلمة الأولى : « الحج » تعنى أشهره : شوال وذى القعدة ، وذى الحجة (عشر منه)

ـ والثانية : تعنى ركن الحج .

ـ والثالثة : فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى أيامه وأثناء أداء شعائره[1] .

(٩) فى سورة البقرة الآية (٢٨٤) .

﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير ﴾

وفى سورة المائدة الآية (٤٠)

﴿ يُعذبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير ﴾ .

فى سورة البقرة : ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء ﴾

قدم المغفرة على العذاب وفى سورة المائدة : ﴿ يُعذبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ﴾ قدم العذاب على المغفرة . لماذا ؟

الإجابة لأن فى سورة المائدة فى الآية (٣٨) السابقة (للآية : ٤٠) . ذكر العذاب للسارق والسارقة قال تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالا ﴾ فهذا عذاب فى الدنيا . . فقدم هنا العذاب فقال تعالى ﴿ يُعذبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ﴾ أما فى آية سورة البقرة وغيرها قدم المغفرة ، رحمة منه تعالى وترغيباً للعباد فى المسارعة إلى موجبات المغفرة . وتلك المراعاة الدقيقة للمعانى القرآنية من دقائق إعجاز القرآن الكريم

---

(١) قواعد وفوائد لفقه كتاب الله تعالى : عبد الله بن محمد الجوعى ص ٤٣ .

سورة النساء

(١٠) فى سورة النساء :

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ (١٣١)

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلا ﴾ (١٣٢)

تكرر قوله تعالى :

﴿ لَلَّه مَافى السَّمَوات ومَا فِي الأَرْضَ ﴾

ثلاث مرات فى آيتين متتاليتين ، مرتين فى الآية (١٣١) ، ومرة فى الآية (١٣٢) فلم هذا التكرار ؟ للإجابة عن هذا السؤال نقول :ـ إن هذا ليس بتكرار فى المعنى لأنه إذا أعيد الكلام لأسباب مختلفة لم يسم تكراراً . .

(١) ففى صدر الآية الكريمة (١٣١) جاء قوله الكريم ﴿ وَلَلَّه مَافى السَّمَوات ومَا فِي الأَرْضَ ﴾ بعد الآية الكريمة (١٣٠) : ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ ﴾ وهو الإذن للرجل والمرأة فى أن يتفرقا بطلاق وتسليتهما على الوصلة ، بأنه هو الذى يغنى المحتاج منهما ، وإن كان قبل ذلك أغنى كل واحد منهما بصاحبه ، فإنهما بعد الفرقة يرجوان الغنى من عنده لأنه واسع الرزق وواسع المقدرة . فإن لله مافى السموات ومافى الأرض ، وأرزاق العباد من جملتها .

(٢) أما فى الموضع الثانى فإن قوله الكريم ﴿ فَإِن لَلَّه مَافى السَّمَوات ومَا فِي الأَرْضَ ﴾ جاء بعد قوله ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ أى اتقوه فإنه واسع النعمة والفضل والرحمة وقد أوسعكم منها ، ووصاكم ومن قبلكم بتقواه والاستجارة بطاعته من عقوبته ، فإنكم إن عصيتم وكفرتم لم يكن

لله حاجة فى طاعتكم ، وإنما أنتم تحتاجون إليها ، والله غنى حميد ، فوجب عليهم طاعته لأن له مافى السموات ومافى الأرض وهو غنى بنفسه حميد . فجاء فى ختام الآية : ﴿ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾

أما فى الآية (١٣٢) ، فلأنه لما ذكر أنه أوجب طاعته على من قبلهم ، وعليهم لأنه ملك مافى السموات ومافى الأرض ، اقتضى أن يخبرهم عن دوام هذه القدرة له ، وكفى به وكيلا ، القيم بمصالح مافى السموات والأرض . فجاءت الآية ﴿ وَلِلَّهِ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾

وقال القرطبى فى تفسيره : [١] .

إن قال قائل : ما فائدة هذا التكرير ؟ فعنه جوابان :

أحدهما : أنه كرر تأكيدا ليتنبه العباد وينظروا ما فى ملكوته وملكه وأنه غنى عن العالمين .

الجواب الثانى : أنه كرر لفوائد : فأخبر فى الأول أن الله تعالى يغنى كلا من سعته ، لأن له ما فى السموات وما فى الأرض فلا تنفد خزائنه ، ثم قال : أوصيناكم وأهل الكتاب بالتقوى ، وإن تكفروا فإنه غنى عنكم ؛ لأن له ما فى السموات وما فى الأرض ، ثم أعلم فى الثالث بحفظ خلقه وتدبيره إياهم بقوله : ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ لأن له ما فى السموات وما فى الأرض . وقال : ﴿ مَافِي السَّمَوَاتِ ﴾ ولم يقل من فى السموات لأنه ذهب به مذهب الجنس ، وفى السموات والأرض من يعقل ومن لا يعقل .

***

(١) تفسير القرطبى ج ٢ صـ ٢٠٧٠ .

سورة المائدة

(١١) فى قوله تعالى فى الآية رقم (٧)

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور ﴾

وجاء فى الآية التالية رقم (٨) بعدها

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون ﴾

نقول لِمَ قال فى الأولى ﴿ إن الله عليم بذات الصدور ﴾ ، وفى الثانية ﴿ إن الله خبير بما تعملون ﴾ ، وهل كان يمكن أن تحل إحداهما مكان الأخرى ؟ نقول : لا إن كل حرف وضع فى القرآن بالحق والميزان . . . وإن القول الأول لابد وأن يكون فى موضعه ، فآيته تتحدث عن ميثاقهم الذى واثقهم الله به وأنهم قالوا سمعنا وأطعنا قال الله فيها ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِى وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ ، إذن فهذا الميثاق محله القلوب التى فى الصدور ، لذا قال الحق بعدها ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور ﴾ .

ـ أما فى الآية الثانية : فيخاطبهم الحق سبحانه وتعالى أن يكونوا قوامين لله شهداء بالقسط وأن يعدلوا ، وهذه الأمور إنما هى من الأعمال الظاهرة والمشهودة لذا جاء بعدها .

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون ﴾ .

وبذا ناسب كل قول كريم موضعه الذى وضع فيه من لدن حكيم عليم .

(١٢) جاء فى هذه السورة الكريمة :

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٤٤)

وجاء فى الآية التالية لها :

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون ﴾ (٤٥)

وفى الآية الثالثة :

﴿ ومنَ لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون ﴾ (٤٧)

لم قال الحق سبحانه فى الأولى : الكافرون وفى الثانية الظالمون وفى الثالثة الفاسقون ؟ .

ـ قال الكرمانى فى البرهان قيل إن الأولى نزلت فى حكام المسلمين ، والثانية فى حكام اليهود ، والثالثة فى حكام النصارى [١] ـ وقيل الكافر والفاسق والظالم كلها بمعنى واحد وهو الكفر ، عبر عنه بألفاظ مختلفة لزيادة الفائدة واجتناب التكرار . . وقيل :

ـ ومن لم يحكم بما أنزل الله إنكاراً له : فهو كافر .

ـ ومن لم يحكم بالحق مع اعتقاده حقا وحكم بضده : فهو ظالم

ـ ومن لم يحكم بالحق جهلا وحكم بضده : فهو فاسق

وقيل : ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو (كافر) بنعمة الله ، (ظالم) فى حكمه (فاسق) فى فعله [٢] .

(١٣) وقال تعالى فى الآية (٤٦) ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِين ﴾ .

ـ لِمَ كُرر فى هذه الآية ـ ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾

ـ ولِمَ ذُكر الهدى مرتين ؟

---

(١) تفسير القرطبى ج٣ ص ٢٢١٥

(٢) البرهان ص ٦٣ ، ص ٦٤ .

كرر مصدقا لما بين يديه : لأن فى الأول المسيح يصدق التوراة وفى الثانى الأنجيل يصدق التوراة ـ قال ابن كثير فى تفسيره [١] فى الأولى ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾ أي مؤمنا بها حاكما بما فيها . أما فى الثانية فبمعنى متبعا لها غير مخالف لما فيها ، إلا فى القليل مما بين لبنى إسرائيل بعض ما كانوا يختلفون فيه . كما قال تعالى إخبارا عن المسيح أنه قال لبنى إسرائيل ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ فلا يكون هنا تكرار .

أما ذكر الهدى مرتين :

فالأولى : تبين أن الإنجيل كان هدى بتعاليمه وأحكامه

والثاني : هدى لاشتماله على بشارته بمحمد صلى الله عليه وسلم [٢] .

نزل . . . . أنزل

(١٤) وقال عز وجل : فى هذه السورة ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ آية (٤٨) المائدة ـ وفى سورة النساء : قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ آية ١٣٦ نَزَّل . . . أنْزل . ما الفرق بينهما ؟ والكتاب الذى (نَزّلَ) المقصود به القرآن وقد نزل منجما بالتدريج الكتاب الذى(أنزل) يقصد به الكتب السماوية السابقة وقد نزلت جملة .

ـ فلفظ (نَزَّل) يفيد التدرج .

ـ ولفظ(أنْزل) يفيد نزوله جملة ولقد جمع القرآن الكريم صفتى النزول هاتين فلقد أنزل ، ونَزَّل . . (أنزل) جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى السماء الدنيا فى ليلة مباركة ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ (الآيـة ٣)

---

(١) تفسير ابن كثير . ج ٢ ص ٦٤ .

(٢) أضواء على متشابهات القرآن ج ١ ص ١٩٧ .

سورة الدخان و(نَزّل) : متفرقا حسب الأحداث على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاث وعشرين سنة (هى فترة الوحى) وهذا تشريفا للقرآن الكريم وزيادة له عن الكتب السابقة التى أُنزلت جملةً واحدة على رسل الله من قبل .

(١٥) قال تعالى فى الآية ٩٣ : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ - ما وجه هذا التكرار الوارد فى هذه الآية فى ذكر (اتقوا) وذكر (وآمنوا) ؟

بالنسبة إلى تكرار (اتقوا) فإن الإتقاء الأول : هو ما حرم عليهم مما ذكر فى الآية السابقة رقم (٩٠) :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

والاتقاء الثانى : هو الثبات على ترك ماحرم عليهم .

والاتقاء الثالث : هو ترك جميع المعاصى وضم الإحسان إليه

أما بالنسبة إلى تكرار (آمنوا)

الإيمان الأول : هو الإيمان بالله تعالى وبما أوجب .

والإيمان الثانى : التصديق بأن ثباتهم على اجتناب المحرمات خير لهم [١] .

وجاء فى تفسير القرطبى [٢] أن هذه الآية نزلت فى تحريم الخمر

قال ابن عباس والبراء بن عازب وأنس بن مالك : إنه لما نزل تحريم الخمر قال قوم من الصحابة كيف بمن مات منا وهو يشربها ويأكل الميسر ونحو هذا ؟ فنزلت الآية ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا . . . . ﴾ ويقول القرطبى فى تفسير هذه الآية : أن فيها

---

(١) أضواء علي متشابهات القرآن ج ١ ص ٢٠٨ .

(٢) تفسير القرطبى ج ٣ ص ٢٣٨٤ .

أربعة أقوال نذكر منها [١] .

الأول : أنه ليس فى ذكر التقوى تكرار ، والمعنى اتقوا شربها وآمنوا بتحريمها والمعنى الثانى دام اتقاؤهم وإيمانهم والثالث على معنى الإحسان إلى الاتقاء .

ومعنى آخر : اتقوا الشرك وآمنوا بالله ورسوله ثم اتقوا الكبائر وازدادوا إيمانا ـ واتقوا الصغائر وأحسنوا أى تنفلوا .

وقال محمد بن جرير : **الاتقاء الأول** : هو الاتقاء بتلقى أمر الله بالقبول والتصديق والدينونة والعمل .

والاتقاء الثانى : الاتقاء بالثبات على التصديق .

والثالث : الاتقاء بالإحسان والتقرب بالنوافل .

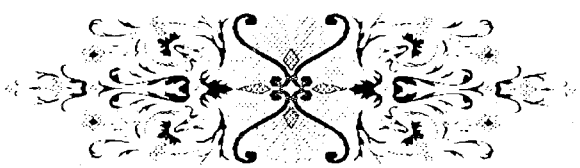

(١) تفسير القرطبي ج٣ ص ٢٣٨٧ .

سورة الأنعام

(١٦) فى سورة الأنعام الآية (٣٢) وفى سورتى محمد الآية (٣٦) والحديد الآية (٢٠) قدم الحق سبحانه وتعالى اللعب على اللهو فى قوله تعالى ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ وفى سورة (محمد) ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾

وقدم اللهو على اللعب فى الأعراف فى الآية (٥١) ، وكذا فى العنكبوت فى الآية (٦٤) .

ففى الأعراف الآية (٥١) ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ﴾

وفى سورة العنكبوت ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾ الآية ٦٤

فى سورة الأنعام وسورتى محمد والحديد قدم اللعب على اللهو لأن اللعب زمانه الصبا ، واللهو زمانه الشباب ، وزمان الصبا مقدم على زمن الشباب فى الحياة الدنيا فقدم اللعب على اللهو .

وقدم اللهو فى سورة الأعراف وسورة العنكبوت على اللعب لأن ذلك (حديث) عن يوم القيامة فذكر على ترتيب ما انقضى ، فبدأ بما به الإنسان انتهى ، فزمان الشباب هو (زمان اللهو) ما قبل الموت ، وزمان اللعب هو المتأخر . فقال فيها : ﴿ لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾ .

وفى سورة العنكبوت الآية (٦٤) .

﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

فالمراد هنا بذكرها زمان الدنيا وإنه سريع الانقضاء ، قليل البقاء ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ أى الحياة التى لا أمد لها ولا نهاية لأبدها ،

فبدأ بذكر اللهو لأنه فى زمان الشباب ، وهوأكثر من زمان اللعب وهو زمان الصبا[١] وعلى نتيجة العمل فى زمان الشباب تكون المنزلة فى الدار الآخرة ، وإن كان زمن الشباب فيه مافيه من المتع ، فإن الدار الآخرة خير وأبقى .

(١٧) وقال الله تعالى فى سورة الأنعام ١٥١

﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾

وقال تعالى فى سورة الإسراء الآية (٣١)

﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾

* آية سورة الأنعام : الإملاق (أى الفقر) قد وقع بهم فعلا . . فيبعث الله الطمأنينة فى القائمين على أمر الأولاد بأن الله يرزقكم أولا ، ويرزقهم فى إثركم . . فلا تقتلوهم من فقر وقع بكم . . فرزقكم مقدم على رزقهم ، فلا يكون فقركم دافعاً لقتلهم بهتانا وظلما عظيما . .

* أما فى الآية الثانية فالفقر لم يقع بهم ، ولكنهم يخشون وقوعه عليهم ، فطمأن الوالدين بأن رزق الأولاد مضمون ولن يكون سببا فى إملاقكم فلا تخشوا فقرا يأتى نتيجة متطلبات الأولاد . . فرزقهم آت وهو مقدم على رزقكم أنتم . . فلا تقتلوهم خشيه فقر فهم لن يكونوا سببا له . . فاطمئنوا فنحن نرزقهم ونرزقكم فى إثرهم . ﴿ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾[٢] .

* * *

(١) أسرار التكرار ص ٦٨ ، ص ٦٩ .

(٢) سورة الإسراء الآية (٣١) .

سورة الأعراف

(١٨) فى هذه السورة : وعن قصة ناقة الله ، قال نبى الله صالح لقومه : ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٣)

وفى سورة هود عن نفس القصة قال : ـ

﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيب ﴾ (٦٤)

ـ وفى سورة الشعراء :

﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيم ﴾ (١٥٦)

لم قال الحق فى آية الأعراف : ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ، وفى سورة هود ﴿ عَذَابٌ قَرِيب ﴾ وفى سورة الشعراء ﴿ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيم ﴾ ؟

ـ فى سورة الأعراف بالغ فى الوعظ ، فبالغ فى الوعيد فقال : ﴿ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيم ﴾

ـ وفى سورة هود لما اتصل بقوله : ﴿ تَمَتَّعُوا فِى دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴾ [١] وصفه بالقرب فقال : ﴿ فَيَأْخُذَكُمْ عذابٌ قَرِيب ﴾ .

وزاد فى الشعراء ذكر اليوم ، لأن قبله : ﴿ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُوم ﴾ [٢] فالتقدير : لها شرب يوم معلوم ، فختم الآية بذكر اليوم فقال : ﴿ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيم ﴾ .

وبذا نجد هذه الآيات الثلاث ، أعطت كل واحدة منها وصفا للعذاب الذى سيصيبهم إذا عقروا الناقة . . فاكتملت صورة هذا العذاب بأكثر من جانب : فهو عذاب أليم . . وهو قريب . . فى يوم عظيم

---

(١) سورة هود الآية (٦٥) .

(٢) سورة الشعراء (١٥٥) .

دارهم . . . ديارهم

(١٩) فى قصة نبى الله صالح مع قومه ثمود ، قال الحق سبحانه وتعالى مخبرا عن عاقبتهم ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِين ﴾ الآية ٧٨ سورة الأعراف .

وفى عقاب قوم شعيب ، قال الحق . .

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِين ﴾ الآية ٩١ سورة الأعراف .

كذلك فى سورة العنكبوت : فى سياق ذكر قصة قوم شعيب (أهل مدين) قال الحق : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِين ﴾ ٣٧ .

أما فى سورة (هود) قال الحق فى قصة قوم نبى الله صالح عليه السلام ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِين ﴾ الآية ٦٧ ـ وفى قوم نبى الله شعيب قال فيهم ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِين ﴾ الآية ٩٤ ـ فلمَ قال فى سورتى الأعراف والعنكبوت (دَارِهِمْ) وفى سورة هود (دِيَارِهِمْ) ؟

(الرَّجْفَة) هى الزلزلة الشديدة أما (الصَّيْحَة) فقيل إنها صيحة جبريل عليه السلام ، وقيل صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة ، وصوت كل شىء فى الأرض [١] وقيل الصيحة صوت من السماء مهلك [٢]

والصيحة كانت من السماء ، فهى أشد هولا وتأثيرا من الرجفة التى هى الزلزلة الشديدة والتى قد تختص بجزء من الأرض . لذا جمعت الدور مع الصيحة فجاءت معها (دِيَارِهِم) وأفردت الدور مع الرجفة فجاءت معها (دَارِهِمْ) لكونها أقل من الصيحة فى التأثير .

ويبدو والله أعلى وأعلم ، وعلى حسب ذكر العذاب الذى ألمَّ بهم ، أن

---

(١) القرطبى ج٤ ص ٣٣٨٠

(٢) المصحف المفسر للشيخ حسنين مخلوف ص ٢٢٩ .

الرجفة جاءت أولا فزلزلت الأرض بهم ، ثم جاء على إثرها الصيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فأصبحوا ساقطين على وجوههم ، قد لصقوا بالتراب كالطير إذا جثمت .

فانظر إلى الإعجاز البليغ للقرآن الكريم فى دقة التصوير لهذا العذاب الأليم والإعجاز اللفظى .

ثعبان مبين .. حية .. جآن

(٢٠) قال الحق سبحانه وتعالى فى ذكر قصة نبى الله موسى عليه السلام فى سورة الأعراف ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ الآية (١٠٧)

ـ وأيضاً فى سورة الشعراء

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ الشعراء (٣٢)

ـ وذكر الحق سبحانه فى سورة (طه) أن العصا تحولت إلى حية ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ (٢٠) ﴾ وفى سورة النمل : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ (الآية ١٠) فلم قال الحق سبحانه وتعالى فى سورتى (الأعراف والشعراء) : ثعبان مبين ، وقال فى سورة (طه) حية تسعى ، وقال فى سورة النمل ﴿ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾ ؟ .

* إن العصا تحولت إلى ثعبان مبين ليرعب فرعون ويخيفه أشد الخوف ، عندما وقف أمام نبى الله موسى معاندا ومتحديا ومتكبرا قائلا ﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (الأعراف ١٠٦)

ونفس الموقف كان فى سورة الشعراء

أما ما كان فى سورة (طه) وسورة (النمل) ، فكان الموقف عندما تحدث الحق سبحانه وتعالى إلى نبيه موسى عليه السلام بالواد المقدس طوى . وبلغه المولى ما أراد تبليغه ، أراد أن يؤنسه ويهدئ من روعه ويطمئنه ، فلفت انتباهه إلى شىء آخر

يساعد على إلقاء الطمأنينة فى قلبه ، فسأله (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ) ، فقال له موسى ﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾ عل الحديث يطول بينه وبين خالقه فيسأله عن تلك المآرب الأخرى ، فقال له الحق ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ (طه ١٩ ، ٢٠) .

فتحولت العصا إلى (حية) من الحيات التى قد يكون موسى قد رآها من قبل .

ولم تكن آنذاك ثعبان مبين لتفزعه ، كما ظهرت لفرعون لترهبه وترعبه ولكنها كانت حية أخذت طريقها تسعى فيه . .

فهذا هو الفرق بين ﴿ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ ، و ﴿ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ ثم إن رؤية نبى الله موسى للعصا وهى تتحول إلى حية فى بادىء الأمر ، لم تكن لتفزعه بعد ذلك عندما تتحول إلى ثعبان مبين أمام فرعون . . فلقد عهد أمر هذه العصا من قبل . . فكان هو فى ثبات . . وكان فرعون فى خوف ورعب . هذه قد تكون بعض الحكمة لتدرجها من حية حتى كانت ثعبان مبين وكلمة(ثُعْبَانٌ مُبِينٌ) تناسب موقف التحدى للسحرة وفرعون ، ولهذا السحر الذى ألقوه وبهروا به أعين الناس ، وهذا على النقيض مما أريد من كلمة (حَيَّةٌ تَسْعَىٰ) . والله أعلم

ونلحظ أيضا فى سور الأعراف و الشعراء و طه ؛ ذكر من الله عز وجل للحالة التى تحولت اليها العصا على وجه الحقيقة فقال تعالى :

﴿ فإذا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ ﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ أما ما ذكر فى سورة النمل فإنما هى كما رآها موسى عليه السلام ، وهى تهتز ؛ فقال (كأنها جآن)[1] . . وعلى تلك الرؤية التى رأها موسى وما أحدثته فى نفسه لذا زاد الحق هنا : ما تصرف به موسى عليه السلام (وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ)

---

(١) الجان ضرب من الحيات أسرع حركة وأكثر أضطرابا (ابن كثير ج٣ ص ٣٥٧) .
وجاء فى المعجم الوسيط ج١ ص ١٤٦ الجان : ضرب من الحيات : اكحل العينين يضرب إلى الصفرة لا يؤذى وفى التنزيل(فلما رآها تهتز كأنها جآن ولى مدبرا ولم يعقب) ـ وفى أضواء على متشابهات القرآن : الثعبان هو الحية العظيمة والجان هو الحية الصغيرة فاختلف الوصفان والقصة واحدة ج١ ص ٢٤٠ .

(٢١) ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾[١]

ـ ما الحكمة هنا فى ذكر الثلاثين ثم إتمامها بعشر ؟ ـ وقوله ﴿ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ . فكل واحد منا يعلم أن الثلاثين مع العشر تساوى أربعين . فما الحكمة من ذكر ذلك ؟

ـ ولماذا قال ، أربعين ليلة ـ ولم يقل أربعين يوماً ، على ما هو المتعارف عليه ؟ وما هى تلك الليالى ؟

أما الإجابة عن السؤال الأول : فلأن موسى عليه السلام بادر إلى ميقات ربه قبل قومه ، والدليل عليه قوله تعالى ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾[٢]

فجائز أن يكون موسى أتى الطور عند تمام الثلاثين ، فلما أعلمه الله سبحانه خبر قومه مع السامرى ، رجع إلى قومه قبل تمام ما وعده الله تعالى ، ثم عاد إلى الميقات فى عشر ليال أخرى ، فتم ميقات ربه أربعين ليلة .

وأما الإجابة عن السؤال الثانى إنما قال ﴿ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ إزالة للتوهم بأن تلك العشر من الثلاثين ، لأنه يحتمل أتممناها بعشر من الثلاثين ، كأنها كانت عشرين ليلة أولا . ثم أتمها بعشر فصارت ثلاثين ، فأزال هذا التوهم بقوله ﴿ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾[٣] .

ـ أما لماذا قال : أربعين ليلة ولم يقل أربعين يوما ؟ لأن العرب كانت تراعى فى حسابها الشهور والأيام والأهلة ، فأول الشهر الليالى فلذلك أرّخت بالليالى وغلبتها على الأيام ، واكتفت بذكر الليالى عن الأيام ، فقالت لعشر خلون ، ولخمس بقين ، جريا على الليالى أما تلك الليالى فهى ليالى ذى القعدة وعشر من ذى الحجة .

---

(١) الأعراف من الآية (١٤٢) .

(٢) طه الآيتان (٨٣) ، (٨٤) .

(٣) أضواء على متشابهات القرآن ج ١ ص ٢٤١ ، ص ٢٤٢ .

سورة الأنفال

(٢٢) قوله تعالى فى الآية (٥٢) ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

وقوله تعالى بعدها فى الآية (٥٤) ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾

السؤال هنا : ما وجه تكرار قوله تعالى : ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ فى آيتين متقاربتين . وقوله تعالى فى الآية الأولى ﴿ كَفَرُوا ﴾ وفى الثانية ﴿كذبوا﴾ وفى الأولى ﴿ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ وفى الثانية ﴿ بِآيَاتِ رَبِّهِم ﴾ ؟ .

للإجابة عن هذه الأسئلة :

قال الخطيب : قد أجاب فيها بعض أهل النظر بأن قالوا :

ـ ذكر فى الآية الأولى عقوبته إياهم عند الموت ، كما فعله بآل فرعون ومن قبلهم من الكفار .

ـ وذكر فى الثانية ما يفعل بهم بعد الموت كما فعله بآل فرعون ومن قبلهم فلم يكن تكرارا [١] وقال القرطبى : الدأب : العادة ـ أى : العادة فى تعذيبهم عند قبض أرواحهم وفى القبور ، كتعذيب آل فرعون . وقيل المعنى جوزى هؤلاء بالقتل والسبى كما جوزى آل فرعون بالغرق ، أى دأبهم كدأب آل فرعون . وليس هذا بتكرار لأن الأول للعادة فى التكذيب . والثانى للعادة فى التعذيب [٢]

ـ وقيل إنه أراد بالأول بيان حالهم فى استحقاق عذاب الآخرة ، وبالثانى بيان حالهم فى استحقاق عذاب الدنيا [٣]

---

(١) البرهان ص ٩٤ .

(٢) تفسير القرطبى ج٤ ص ٢٩٥٦ .

(٣) أضواء على متشابهات القرآن ص ٢٥٣ .

وقال الخطيب أيضا : والجواب عندى : أن الأول إخبار عن عذاب لم يمكن الله أحدا من فعله ، وهو ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند نزع أرواحهم والثانى : إخبار عن عذاب مكن الناس من فعل مثله . وهو الإهلاك والإغراق .

قلت[١] : وله وجهان آخران محتملان :

أحدهما : كدأب آل فرعون فيما فعلوا ، والثانى كدأب آل فرعون فيما فعل بهم ، فهم فاعلون فى الأول ، ومفعول (بهم)[٢] فى الثانى .

ـ وقوله تعالى فى الأولى ﴿ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ وفى الثانية ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِم ﴾ أى المراد بالأول كفرهم بالله ، والمراد بالثانى : تكذيبهم بالأنبياء لأن تقدير الآية : كذبوا الرسل بردهم آيات الله .

وله وجه آخر : وهو أن يجعل الضمير فى ﴿ كَفَرُوا ﴾ لكفار قريش على تقدير : كفروا بآيات الله كدأب آل فرعون . وكذلك الثانى : كذبوا بآيات ربهم كدأب آل فرعون .

(٢٣) قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[٣]

وقال عز وجل فى سورة التوبة : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِم ﴾[٤] قدم المال فى سورة الأنفال وأخره فى سورة التوبة فلم هذا ؟

قال ابن جماعة فى جوابه : إن آية الأنفال تقدمها ذكر الغنائم واختياره أخذ الفداء من الأسرى ببدر فناسب تقديم إنفاق المال وآية التوبة تقدمها افتخارهم بعمارة المسجد الحرام على المجاهدين فناسب تقديم الجهاد فى سبيل الله على المال والله أعلم[٥]

---

(١) البرهان ص ٩٤ .
(٢) ليس فى الأصل .
(٣) سورة الانفال الآية (٧٢)
(٤) سورة التوبة الآية (٢٠) .
(٥) قواعد وفوائد ص ٩١ نقلا عن كشف المعاني ص ١٩٢

سورة التوبة

(٢٤) جاء على لسان رسولنا صلى الله عليه وسلم وهو فى الغار ومعه صاحبه أبو بكر الصديق : فى الآية ٤٠ من هذه السورة ﴿ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ .

وجاء على لسان نبى الله موسى عليه السلام عندما خرج ببنى إسرائيل وأتبعهم فرعون وجنوده قال ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (١)

فما الفرق بين القولين ؟ وهل ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ مثل ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي ﴾ ؟

الجواب نقول والله أعلى وأعلم إن هناك فروقا بين القولين الجليلين :

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ ذكر هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ الجلالة ﴿ الله ﴾ : المقصود بالألوهية والمعبود وحده ولا شريك له . ورسول الله صلى الله عليه وسلم خير الموحدين بالله . فذكر ﴿ الله ﴾ فى سياق حديثه وأنه هو الإله الواحد الأحد . وموسى عليه السلام قال ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي ﴾ ذكر ربوبية الخالق المربى له ولجميع المخلوقات ، فهو الذى قال فيه الحق ﴿ ولتصنع على عينى ﴾ وتولاه برعايته وحفظه وهو فى قصر عدوه (فرعون) وهو طفل رضيع . . فكان ذكره : ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي ﴾ اعترافاً بفضل ربه عليه فيما مضى ، وتسكينا لنفسه بأن ربه الذى كلأه ورعاه وحفظه من أن يناله أى سوء وهو فى قصر فرعون صغيرا ، لن يتركه فى هذا الموقف العصيب ، حيث فرعون وجنوده وقد أتبعوهم وتراءى الجمعان وليس أمام موسى ومن معه إلا البحر ، فقال : ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي ﴾ : المربى ، الحفيظ ، المنجى سبحانه وتعالى (هذا عهدى به ، سبحانه ، ﴿ سَيَهْدِينِ ﴾) .

وقال نبى الله موسى : ﴿ مَعِيَ ﴾ وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم ﴿ مَعَنَا ﴾ وذلك لأن معية الله مع موسى (عليه السلام) ، ولم تشمل غالبية من معه من بنى إسرائيل لأنهم سيرتدوا بعد النجاة كما قال تعالى :

---

(١) سورة الشعراء (الآية ٦٢) .

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (١)

أما لما قال رسولنا صلى الله عليه وسلم ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ معية الله شملت رسول الله وأبا بكر ، عندما خرج معه ابو بكر مهاجرا معه ، فبقى أبو بكر مهتديا موحدا عالما جازما قائما بالأمر ولم يتطرق إليه اختلال . لذا قال ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ .

جنات تجرى من تحتها الأنهار . جنات تجرى تحتها الأنهار

(٢٥) قال عز من قائل فى أكثر من موضع فى كتابه العزيز فى ذكر الجنات ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (٢)

إلا فى موضع واحد فى سورة التوبة : الآية (١٠٠) قال عن الجنات

﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ فلم لم يذكر فى هذه الآية الكريمة حرف (من) وقال تجرى تحتها الأنهار ولم يقل من تحتها الأنهار ؟ .

إن ذكر الجنات التى تجرى (من تحتها) الأنهار قد تردد فى القرآن حوالى (٣٨ مرة)، بينما لم يرد فيه الجنات التى تجرى (تحتها) بحذف (من) إلا مرة واحدة هى تلك المذكورة فى سورة التوبة .

إن صيغة (من تحتها) فيما يتعلق بأنهار الجنات يقصد به الإشارة إلى مصدر هذه الأنهار ، وأنها ليست آتية من مكان آخر بعيد عن هذه الجنات ، بل هى نابعة متفجرة (من تحتها) . أما صيغة (تحتها) بغير (من) فإنها تشير إلى مجرد (الجريان)

---

(١) الأعراف ١٣٨ .

(٢) منها في سور: محمد / ١٢ ، الفتح / ٥ ، ١٧ ، الحديد / ١٢ والمجادلة / ٢٢ ، الصف / ١٢ ، التغابن / ٩ ، الطلاق / ١١ ، التحريم / ٨ ، البروج / ١١ ، البينة / ٨ .

جريان هذه الأنهار (تحت) الجنات .

ومن هنا يمكن القول ـ والله أعلم ـ بأن استخدام القرآن لهاتين الصيغتين إنما يراد به الجمع بين الأمرين . . أى الإفادة بأن هذه الأنهار مرتبطة بهذه الجنات صدورا ومسارا ، أو تفجرا وجريانا .

فهى لا تأتى من جهة أخرى منفصلة عنها ، وهى فى الوقت نفسه لا تفارقها فهى (منها) و(لها) . أو بتعبير القرآن : (من تحتها) (وتحتها) .

ولعل القرآن قد استخدم الصيغة الأولى فى جميع المواضع ولم يستخدم الصيغة الثانية إلا فى موضع واحد لسببين :

الأول : هو أن إبراز صدور الأنهار من تحت الجنات له أهمية خاصة ، من حيث دلالته على الاقتران أو التلازم بين هذه الجنات وبين مظهر عظيم من مظاهر الخير والجمال وهو منابع الأنهار ومصادر تدفقها .

الثانى : هو أن صيغة (تجرى من تحتها) قد تشمل ضمنا معنى (تجرى تحتها) وذلك لأنها بالفعل « تجرى » وبالحرف « من » تجمع بين الجريان والصدور .

وليس الغريب أن تكون هذه الأنهار حيثما اتجهت ، صادرة جارية فى آن واحد ، فإن الجنة كما أخبر عنها رسول الله ﷺ .

« فيها مالاعين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » ولعل هذا الكلام يتأيد بكون هذه الآية الوحيدة التى استخدمت الصيغة الثانية ، هى آخر الآيات التى فى نفس المسألة نزولا . فكأن القرآن قد استخدم المعنى الأشمل فى جميع هذه الآيات ، ثم أرجأ إكمال هذا المعنى أو إتمام ملامحه منذ إتمام نزوله . كما أن ذكر السابقين الأولين والذين اتبعوهم فى الآية التى انفردت باستخدام الصيغة الثانية ، لعله نوع من الاختصاص والتكريم الذى يليق بمنزلتهم المعروفة ، فكأنما أراد الله تعالى أن يختم بهم ـ دون غيرهم ـ فى آخر آية تضمنت آيات هذا الوعد العظيم لعباده الصالحين [١] .

---

(١) المثانى القرآنية : دكتور السيد عبد المقصود جعفر ص ٧٣ ، ص ٧٤ ، ص ٧٥ .

سورة يونس

(٢٦) فى الآية (١٨) من هذه السورة يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُم ﴾

* وفى سورة الفرقان من الآية (٥٥) يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُهُم ولا يَضُرُّهُم ﴾

للسائل أن يسأل عن تقديم (يضرهم) على (ينفعهم) فى الآية الأولى وتقديم (ينفعهم) على (يضرهم) فى آية سورة الفرقان ، وهل يصلح أحدهما مكان الآخر .

والجواب أن يقال : إنما قدم يضرهم على ينفعهم فى الآية الأولى ، لأن العبادة تؤدى للمعبود خوفا من العقاب أولا ، ثم رجاء للثواب ثانيا ، وقد تقدم فى هذا المكان ما أوجب تقديم يضرهم على ينفعهم فى الآية الأولى . وهو قوله ﴿ قل إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم ﴾ .

فكأنه قال : ويعبدون من دون الله مالا يخافون ضرراً فى معصيته ولا يرجون نفعا فى عبادته . وقدم مالا يضرهم على مالا ينفعهم فى هذا المكان لهذا المعنى ولهذا اللفظ .

* وأما فى سورة الفرقان فقد تقدمت قبلها آيات قدم فيها الأفضل على (الأدنى) كقوله ـ عز وجل ـ فى الآية (٥٣)

﴿ وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ وقوله تعالى بعده : ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً ﴾ (الآية ٥٤ الفرقان) وصلة النسب أفضل من صلة المصاهرة ، كما أن العذب من الماء أفضل من الملح ، وقال بعده ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ ﴾ (الآيه ٥٥ الفرقان) فقدم الأفضل على الأدنى للبناء على ما تقدم من الآيات فجاء فى

كل موضع على ما اقتضاه ما تقدم وصح فى المعنى الذى اعتمد له [١]

(٢٧) يقول تعالى فى سورة يونس ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٢]

* وفى سورة النمل قال تعالى : ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [٣]

نتساءل هل كان من الممكن أن يحل قوله تعالى ﴿ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ محل قوله تعالى ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . . وما الحكمة الجليلة من ذكر كل قول فى مكانه ؟

نقول والله أعلى وأعلم : إنه لا يمكن أن يحل لفظ مكان لفظ فالقرآن أحكمت آياته من لدن حكيم خبير .

* ففى سورة يونس جاء فى الآية التى قبلها ﴿ كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٤] فالسياق القرآنى يتحدث فى هذه الآيات الكريمة عن المؤمنين . كذلك فى نفس الآية (١٠٤) قوله تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ . . ﴾ فالحديث هنا عن عباده الله والإيمان به ، وأنه هو الذى يتوفى الأنفس . . فالسياق القرآنى فى تلك الآيات الكريمة عن الإيمان بالله ، ونجاة المؤمنين فكان الأولى مجيىء ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

* أما فى سورة النمل فجاء فى هذه الآية :

﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ الآيه (٩١) النمل ثم تلتها الآية الكريمة التى جاء فيها ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ ﴾ [٥]

إذن فالسياق القرآنى هنا يتحدث عن بعض خصوصيات المسلمين ، فالبلد الحرام فيها مناسك حج المسلمين وشعائرهم ، وتلاوة القرآن الكريم ، وهو كتاب المسلمين أنزله الله على نبيهم ﷺ . . فكان الأولى هنا ذكر ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (والله أعلم)

---

(١) درة التنزيل ص ٢٠٩ ، ص ٢١٠ .
(٢) سورة يونس من الآية (١٠٤) .
(٣) سورة النمل من الآية (٩١)
(٤) سورة يونس الآية (١٠٣) .
(٥) سورة النمل من الآية (٩٢) .

سورة هـــود

(٢٨) فى هذه السورة الكريمة وعند ذكر مجيىء أمر الله على قوم هود وشعيب قال الحق سبحانه وتعالى

﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾ (١)

وقوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾ (٢)

* قال الحق سبحانه فى هاتين الآيتين ﴿ وَلَمَّا جَاء ﴾

* أما فى قصة صالح ولوط قال فى هذه السورة : ﴿ فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا ﴾

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾ الآية ٦٦

وفى قصة لوط ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ ٨٢ .

فلمِ جاء فى قصة هود وشعيب : ﴿ وَلَمَّا جَاء ﴾ بالواو

وفى قصة صالح ولوط ﴿ فَلَمَّا جَاء ﴾ بالفاء . ؟

للإجابة عن هذا التساؤل نقول والله أعلم

إن العذاب فى قصة هود وشعيب تأخر عن وقت الوعيد ففى قصة هود جاء على لسان نبى الله هود : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ الآية ٥٧ وفى قصة شعيب جاء على لسان نبى الله شعيب : ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيب ﴾ الآية ٩٣ . فالتخويف قرنه بالتسويف فجاء بالواو المهملة . أما فى قصة صالح ولوط وقع

---

(١) سورة هود (الآية ٥٨) .

(٢) سور هود (الآية ٩٤) .

العذاب عقيب الوعيد ففى قصة صالح : ﴿ فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ﴾ الآية ٦٥

وفى قصة لوط : ﴿ إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ﴾

فجاء بالفاء للتعجيل والتعقيب فقال : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾

(٢٩) قال تعالى ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾ (١) .

للسائل أن يسأل عن تكرار ذكر ثمود فى هذه الآية

الجواب : أن الأول يقصده به الأب والأقربين من أولاده ، إذ كان أولهم فى الكفر .

وفى الثانى قصد ذكر الاهلاك ، وكان للقبيلة بأسرها لما أصرت على الكفر فنحى نحو القبيلة (٢) .

(٣٠) قال تعالى فى الآية (٧١) من سورة هود ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوب ﴾

لِمَ ثنى الحق سبحانه وتعالى بذكر إسحق فى هذه الآية . . أما كان يكفى أن يذكر الاسم ثم يذكر الضمير بعده فيقال : فبشرناها بإسحق ومن ورائه يعقوب ؟ . . كلا . . فإن الكتاب العزيز نزل بالحق والميزان ، فإن ذكر الضمير هنا لا يضع القول الفصل فى قضية لها شأنها ، وهى ما يثيره الكاذبون ، من أن الذبيح هو إسحق ، وليس إسماعيل ، فالبشارة فى هذه الآية الكريمة تعنى أن إسحاق عليه السلام سيعيش حتى يولد له يعقوب ، أى أنه لن يتعرض لذبح وبذلك صرح بالاسم فى تكملة الآية ﴿ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوب ﴾ حتى يثبت الاسم (إسحق) ليزيل أى توهم أو كذب يدعى أن الذبيح هو إسحق .

فلو كان الذبيح إسحق ـ وقد أمر إبراهيم بذبحه صغيرا ـ لم يكن للتبشير بيعقوب الذى سيولد له معنى ، فكيف وهو ذبيح ؟ (٣)

---

(١) سورة هود (الآية ٦٨) .

(٢) درة التنزيل ص ٢٢٥ .

(٣) قواعد وفوائد ص ١٠٩ .

سورة يوسف

(٣١) فى هذه السورة يقول الحق سبحانه وتعالى مخبرا عن يوسف عليه السلام : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [١] وقال سبحانه وتعالى فى سورة القصص فى ذكر موسى عليه السلام :

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ واستوى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [٢]

نتساءل عن الفائدة فى تخصيص موسى عليه السلام بذكر بلوغ الأشد والاستواء وإخلاء ذكر يوسف من الاستواء ، وهل كان يصلح أحدهما مكان الآخر ، أم قصد الحكمة يمنع منه ؟

الجواب : بلوغ الأشد مختلف فيه ، قيل هو أن يبلغ ثلاثا وثلاثين سنة وقيل خمساً وعشرين سنة وقيل غير ذلك ، والأشد جمع شد وهو القوى من العقل يحتمل التكليف ، لأن الغلام إذا بلغ ، شدت أعماله وكتبت حسناته وسيئاته . وإيتاء الحكم والعلم ، مجازاة على إحسان كان منه وذلك بعد البلوغ .

وقيل فى قوله ﴿ بَلَغَ أَشُدَّهُ واستوى ﴾ : أى أدرك واستوت لحيته ، وقيل الاستواء أن يبلغ أربعين سنة وهو معنى بين فى الآية الكريمة ﴿ حتى إذ بلغ أشده وبلغ أربعين سنة ﴾ والذى يفرق بين المكانين ، هو أن يوسف عليه السلام أخبر الله تعالى عنه أنه أوحى إليه لما طرحه إخوته فى الجب حيث قال : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ (الآية ١٥ ـ سورة يوسف) وأراه الله الرؤيا التى قصها على أبيه . وموسى عليه السلام لم يفعل به شىء من ذلك (الوحى) إلى أن بلغ الأشد واستوى . . مما سبق يتضح لنا أن يوسف عليه السلام أوحى إليه وهو غلام عندما ألقى فى البئر . . والدليل على ذلك قول السيارة ﴿ هذا غلام ﴾ ـ أما موسى عليه السلام أوحى إليه بعد أن استوى وبلغ الأربعين لذا زيد فى ذكره « واستوى » والله أعلم .

---

(١) سورة يوسف : الآية ٢٢ .

(٢) سورة القصص الآية (١٤) .

سورة الحجر

(٣٢) فى هذه السورة ـ قوله تعالى :

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾(٧٤)

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٧٧)

نتساءل لِمَ كان جمع (الآية) مع ذكر المتوسمين فقال : إن فى ذلك (لآيات) وفى الآية الثانية جاءت مفردة (لآية) . . وهل كانت (الآيات) لو ذكرت فى الثانية ، و(الآية) ذكرت فى الأولى مما يكون فى اختيار الكلام .

الجواب : قال الخطيب فى قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ .

إشارة إلى ما قص من حديث لوط وضيف إبراهيم ، وتعرض قوم لوط لهم طمعا فيهم ، وما كان من أمرهم من إهلاك الكفار ، وقلب المدينة على من فيها ، وإمطار حجارة من سجيل عليهم . . وهذه أحداث جسام فى كل واحدةمنها آية ، وفى جميعها (آيات) لمن يتوسم ، (أى يتدبر السمة ، وهى ماوسم الله تعالى به العاصين من عباده) ليستدلوا بها على حال من استكبر عن عبادة الله ، فيتجنبوا المعاصى فكان ذكر (الآيات) فى هذا الموضع أولى .

وأما قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أى تلك المدينة المقلوبة ثابتة الآثار ، مقيمة للنظار ، فكأنها بمرأى العيون لبقاء آثارها .

وهذه واحدة من تلك الآيات فلذلك جاء عقبها ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

* * *

سورة الكهف

(٣٣) ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَآ . . . ﴾

فى قصة نبى الله موسى مع الخضر عليهما السلام ، تكرر قول الحق سبحانه وتعالى ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَآ . . . ﴾ [١] مع بداية كل حدث من أحداثها الثلاثة لذا نتساءل بم يفيد هذا التكرار الجليل ؟ مع بدء كل حدث ؟ نقول والله أعلم :

* إنه فى (الأولى) : يفيد أنه بمجرد أن انتهى الاثنان عليهما السلام من عقد اتفاقهما لبدء الرحلة ووضع دستور العمل خلالها ، أعقب ذلك البدء الفورى فى الرحلة ، والبدء فى التنفيذ ، فلم يعد هناك وقت يضاع . لذا جاء بحرف (الفاء) إلى الفعل (انطلقا)

ويفيد هذا القول الجليل ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَآ . . . ﴾ تحفز نبى الله موسى لأن يتعلم ، وتحفز العبد الصالح على أن يعلمه مما عُلم من علم لدنى .

* وفى الثانية ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَآ . . . ﴾

وذلك بعد خرق السفينة . واعتراض نبى الله موسى على فعلة العبد الصالح وتذكير العبد الصالح له بأنه لن يستطيع معه صبرا ـ جيىء بالفاء هنا أيضا ملحقة بـ (انطلقا) مما يدل على أن نبى الله موسى لم يعقب ولكن أذعن للأمر ، واستعد لما هو آت . وأعقب ذلك الانطلاق مباشرة .

* وفى الثالثة : يفيد نفس المعنى اعتراض . . ثم امتثال للأمر . . فموافقة أعقبها انطلاق من الاثنين

إجابة أخرى : فى تكرار هذا القول الكريم : ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَآ ﴾ ما يفيد والله أعلم أن هذه الأحداث حدثت فى ثلاث مناطق كل منها متباعدة عن الأخرى .

وفى هذا ما يدفع عن العبد الصالح معرفته بأحوال هذه الفئات الذين شملتهم

---

(١) مع بداية الآيات (٧١ ، ٧٤ ، ٧٧) .

أحداث هذه القصة (نتيجة المعايشة بينهم مثلا) .

فالإنسان الذى يعيش فى بلدة معينة قد يطلع على بعض أحوال أهلها نتيجة التعايش بينهم زمنا معينا ولكنه لا يستطيع أن يلم بأحوال وأسرار الناس فى أكثر من بلدة متباعدة .

ويصعب الأمر كثيراً إذا كان متعلقا بأدق الأسرار فى هذه البلاد . ولا سيما أنها أسرار تختبئ داخل النفس البشرية ـ أو إنها كانت فى الماضى البعيد ـ أو مخبأة تحت جدار . . فالعلم بهذه الأسرار التى فى بلاد متفرقة يدل على أنها لم تكن بالمعايشة ولكن بإخبار الله سبحانه وتعالى للعبد الصالح ، ونضيف أن تكرار قول الحق سبحانه وتعالى ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَآ . . . ﴾ يفيد أن بين كل حدث وآخر فترة زمنية . وليست متتابعة الحدوث ، حتى تعطى نبى الله موسى عليه السلام فرصة كافية للتفكير فى الحدث السابق ، علّه يصل إلى نتيجة أو حكم على ما يراه من حدث وفيما يبدر من العبد الصالح من تصرف . .

فلو أنها جاءت متعاقبة الواحدة تلو الأخرى ، لما تحملها نبى الله موسى وأنى له . أو لأى بشر أن يصدم بمثل تلك الأحداث المتعاقبة من خرق سفينة وكأنه يريد إغراق من فيها . . وقتل غلام برىء بغير نفس . . وإقامة جدار فيه تقديم معروف ليس فى أهله ، الذين أبوا أن يضيفوهما . . ولكن رحمة بنبى الله موسى كانت هناك فترات زمنية لا يعلمها إلا الله ليعود إلى سكونه ليستقبل حدثا آخر .

وجه ثالث : فى تكرار قوله تعالى ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَآ . . . ﴾

مايفيد استدعاء الهمة ، وبعث النشاط فى الجسم . ، وتنشيط العقل وبالتالى إيقاد ملكة التدبر والفكر لما هو آت من أحداث .

وهذا ما يستلزمه التعليم والتدبر من استعداد كامل لتلقى العلم فى كل مرحلة من مراحله .

هذا من بعض تأويل تكرار هذا القول الكريم مع بدء كل حدث والذى رأينا أنه ليس بتكرار ولكن لحكم بالغة الأهمية .

سورة مريم

(٣٤) نتساءل ما السر فى تكرار حرف « الفاء » واختياره دون غيره من حروف العطف فى قصة مريم ابنة عمران فى هذه السورة . . وحملها بعيسى عليه السلام فلقد جاءت الفاء مقترنة بأكثر الأفعال ورودا فى هذه القصة فجاءت كما يلى :ـ

(فاتخذت) . (فأرسلنا) . (فتمثل) [١] **. (فحملته) . (فانتبذت)** [٢]
. (فأجآءها) . . (فناداها) . (فكلى) . (فقولى) . (فأتت) [٣]

نقول والله أعلى وأعلم :

إن هذا يفيد أن الأحداث جاءت متعاقبة . . وفى تتابع سريع . . حتى قيل أن مدة حمل مريم بعيسى عليه السلام كانت تسع ساعات [٤] والله أعلى وأعلم .

وكان عمرها عشر سنوات آنذاك (انظر الطبرى فى تفسيره ـ مجمع البيان)

ثم إن تتابع مثل هذه الأحداث العجيبة . . المدهشة . . والغريبة فيها رحمة بمريم عليها السلام .

لأن طول مدة هذا الحمل يسبب الحرج الشديد لها . . ويكثر المتحدثون والذين يرمونها ببهتان .

ولكن تتابع الأحداث لا يعطى فرصة طويلة للقيل والقال . حتى تسرع الأحداث ويأتى من يتكلم وهو فى مهده . . فيبرأ ساحة أمه، ويخاطبهم فيكون لهم آية : ﴿ **قال إنى عبد الله . . .** ﴾ الآية

---

(١) الآية (١٧) ﴿ فاتَّخَذَتْ من دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾

(٢) الآية (٢٢) ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ به مَكَانًا قَصِيًّا ﴾

(٣) انظر الآيات رقم (٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧) .

(٤) انظر أضواء على متشابهات القرآن ج٢ : ص ٦ .

سورة طه

(٣٥) فى سورة (طه) قال تعالى :

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۝٩ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾

ـ فى سورة (النمل)

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾(٧)

ـ وفى سورة (القصص)

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (٢٩)

نتساءل هل حدث تكرار فى وصف هذا المشهد المهيب ، ونبى الله موسى يرى تلك النار فى وسط الظلام الدامس ومعه أهله (زوجته) ؟ !

نقول والله أعلى وأعلم بمراد كلماته وبفكرنا المحدود إنه لم يحدث تكرار ، ولكن ما ذكر إنما هو تبيان وإجلال لما حدث . .

فالنار . . ليست ناراً عادية . . فهى من أنوار ربانية . .

والموقف مهيب جليل . . فهو يسبق تكليم الحق لموسى عليه السلام ، إذن فأحداث ما قبل كلام الحق وما بعده لزمه ما يناسبه من تبيان هذا الموقف العظيم من أكثر من زاوية . . لتكتمل بعض من صوره لنا ، وسنتعرض بعون من الله لتلك الآيات الكريمة لنرى أسرار مافيها من تكرار . وذلك بترتيب الآيات بدءا بما ذكر فى سورة (طه) ثم سورة (النمل) ثم ماجاء فى سورة (القصص) . . فنجد ما يلى :

يخبر الحق سبحانه وتعالى فى سورة طه أن نبيه موسى رأى ناراً ، أما نبى الله موسى فإنه قال إنه آنس نارا . . إن الحق يخبر عن حقيقة ما رأى موسى ، وموسى

يخبر أنه أبصرها إبصاراً بيناً .

فقال الحق سبحانه وتعالى مخبرا عنه ﴿ إذ رءا ناراً ﴾ . . وهذه حقيقة ما رأى وقال موسى : ﴿ إنى آنست ناراً ﴾ كأنه يريد أن يستبين أمر مايرى .

ـ فى سورة طه : ﴿ فقال لأهله امكثوا ﴾ . .

وقال فى القصص : ﴿ قال لأهله امكثوا ﴾

إن الأولى قد تدل أنه بمجرد أن استبان النار بوضوح ، عاجل أهله بأمره لهم بالمكث . . لذا اقترن قوله بالفاء ﴿ فقال لأهله امكثوا ﴾ وفى مثل هذا الأمر الذى هو بصدده من ليل بهيم ، ونار يراها لا يعلم ما وراءها ، يعيد الأمر على أهله ، ولكن بشىء من بعث الطمأنينة لديهم ، ولأهمية أمره هذا ، أعاده عليهم مرة أخرى ، ليلتزموا البقاء فى مكانهم دون أن يبرحوه حتى يستطلع الأمر ويتبينه ، كذا يفهم من الآية الأولى من سياق ما قبلها بقول الحق (إذ رأى) . . فهذا به الحقيقة وما يناسبها بأن يعقبها (فقال) ـ أما الثانية ناسبت قوله (ءانس) .

ـ فى سورة طه قال لأهله ﴿ لعلى ءاتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ﴾ إنه يعبر عما يرجوه ويتطلع إلى ما يحصل عليه عندما يأتى إلى موقع تلك النار ـ فقال لعلى ءاتيكم منها بشعلة من النار أو أجد عند النار من يهدينا إلى الطريق حتى لا نضل فى هذا الليل البهيم .

وكما بعث الطمأنينة فى أهله سابقا عندما أعاد عليهم أمر المكث دون مباغتة . . بعث فيهم الطمأنينة والأمن مرة أخرى . . فبعد أن قال لهم بترجى وأمل فى أن يأتى لهم بقبس ، أو يقابل عند النار من يهديه إلى الطريق ، أعاد لهم هذا الأمل ولكن بشىء من التأكيد . كى تسكن هواجسهم ومخاوفهم فقال : ﴿ سأتيكم منها بخبر أو ءاتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون ﴾ .

أى إنى سوف آتى لكم بخبر أكيد ، أو آتيكم بشعلة نار ساطعة مقبوسة من أصلها فيها دفء لكم وفيها نور نهتدى به فى الطريق فزاد فى سورة النمل عن سورة طه بكونها فيها دفء لتستدفئون بها من البرد .

و عندما بعث فيهم تلك الطمأنينة بتأكيده لهم بأنه سيأتى بشىء استدرك الأمر . . . فإن الأمر قد يخرج عن حيز تأكيداته ، ولا سيما أن ما يراه ليس بطبيعيا فالنار تشتعل فى شجرة خضراء ، النار تزداد اشتعالا والشجرة تزداد خضرة ، والليل يجعله يعود إلى أدراج تفكيره ؛ ليستدرك ما قاله بشىء من الترجى والأمل فى أن يأتى بخبر من عند النار . . أو أن يأتى بجزء من هذه النار وهى قد تصبح جذوة عندما يأتيها (أى ناراً بدون لهب) : فيأخذ منها جذوة (أى قطعة نار لا لهب لها فيأتى بها أهله لعلهم يصطلون) لذا قال فى سورة القصص الآية (٢٩) :

﴿ لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ إذن لم نر تكرارا فى تلك الآيات العظيمة . . بل رأينا وصفا دقيقا لحالة نبى الله موسى عندما رأى النار ، والآن نجمل ما قد أفادنا به التكرار المعجز فى تلك الآيات الكريمة .

ـ أن نبى الله موسى يحاول أن يزيل أى شكوك قد يعتريه لما يرى ، ويحاول الخروج من حالة الذهول لرؤية النار إلى حالة التيقن فيما يرى لذا قال (**ءانست نارا**)

ـ إنه إزاء ما يرى ، عليه أن يتصرف بحكمة فيعطى الأمر الفورى لأهله بالبقاء (**فقال لأهله امكثوا**) ، ثم يكرر الأمر حرصا عليهم (**امكثوا**) لكى يستطلع حقيقة ماوراء هذه النار ، والحصول منها على مايعود عليهم بالنفع

إنه على بعد من النار ، والليل يحجب الرؤيا لا ستطلاع ماعند هذه النار . . إذن هنا الأمر يكون فيه احتمالية ، وتأكيدات . . فلقد صدق مع أهله عندما قال لهم (لعلى) : يحتمل الأمر . ويرجوه ويطلبه ، وصدق أيضا مع أهله عندما قال لهم (سأتيكم) : باعثا فيهم الطمأنينة وأن ما عند هذه النار لا يتعدى إلا أن يكون عندها خبرا ، أو أن يأخذ شهابا قبسا يحضره لهم ليستدفئوا به وينير لهم الطريق .

لقد عدد نبى الله موسى لأهله كل ما قد يأتى به من منافع هذه النار .

إما قبس (كما جاء فى سورة طه) : وهى شعلة نار تضئ ولا تدفئ أو شهاب قبس (كما فى سورة النمل) وهى شعلة نار تضئ وتدفئ.

وإما جذوة من النار (كما فى سورة القصص) : وهى نار تدفئ ولكن لا تضئ فجاء بكل استخدامات النار فى هذا الموقف والفوائد المحتملة ، عندما يأخذ

منها ، فانظر روعه البيان وبلاغة اللفظ وحكمة التكرار .

(٣٦) قال تعالى فى سورة طه : الآية (٣٩) : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ . . عداها بعلى فى حكايته سبحانه عن طفولة موسى عليه السلام .

ـ وقال تعالى فى سورة القمر الآية (١٤) : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ . . . عداها بالباء فى عرضه سبحانه لسفينة نوح عليه السلام أثناء الطوفان ، فما الفرق بين قوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ . . وقوله ﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾ .

ـ الآية الأولى : وردت فى إظهار أمر كان خفيا ، وإبداء ما كان مكنونا ، فإن الأطفال (فى وقت إن كان موسى طفلا) آنذاك كانوا يغذون ويربون سرا . . فلما أراد (سبحانه) أن يصنع موسى ويغذى ويربى على جَلِيّ أمنٍ وظهور أمر لا تحت خوف وكتمان دخلت (على) .

وفى اللفظ تنبيه على المعنى لأنها تعطى معنى الاستعلاء ، والاستعلاء ظهور وإبداء فكأنه سبحانه يقول : ولتصنع على أمن لا تحت خوف ، وذكر العين لتضمنها معنى الرعاية والكلأ .

وأما قوله : ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (سورة هود ٣٧) و ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ (سورة القمر الآية ١٤) أى فى رعاية منا وحفظ ، ولا يريد إبداء شىء ، ولا إظهاره بعد كتم فإن الفلك كان يصنع على مرأى من الجميع ، فلم يحتج الكلام إلى معنى « على » [١] .

وعن حكمة الإفراد بقوله ﴿عَيْنِي﴾ فى قصة موسى والجمع فى الباقى ﴿ بِأَعْيُنِنَا﴾ فهو سر لطيف فيه إظهار الاختصاص الذى خصَّ به موسى فى قوله ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ [٢] ، فاقتضى الاختصاصُ الاختصاصَ الآخر فى قوله : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ [٣] بخلاف قوله ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [٤] . ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [٥] . فليس فيه من الاختصاص ما فى صنع موسى على عينه سبحانه وتعالى .

---

(١) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٨٧ . عن السهيلي .

(٢) سورة طه (الآية ٤١) .

(٣) سورة طه (الآية ٣٩) .

(٤) سورة القمر (الآية ١٤) .

(٥) سورة هود (الآية ٣٧) .

سورة الأنبياء

(٣٧) فى هذه السورة يقول الحق سبحانه عن نبيه أيوب عليه السلام :

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾ (١) .

وقال سبحانه وتعالى فى سورة (ص)

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (٢) .

لنرى الحكمة البالغة ، والإعجازالقرآنى فى الفرق بين موضعى قوله تعالى ﴿ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ و﴿ رَحْمَةً مِّنَّا ﴾ . . . وقوله تعالى ﴿ وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ .

ـ فى سورة الأنبياء أخبر الله تعالى عن أيوب بأنه نادى ربه ، وشكا إليه مامسه من الضر ، و سوء الحال بالمرض الذى طال ، ثم بالفقر الذى ناله واجتاح ماله حتى زال جميع ماله ؛ ليعطيه على صبره الثواب العظيم ، ونعيم الجنة ، وكأنه لما قال مسنى الضر ، فقال تعالى مستجيبا لندائه : ﴿ فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا ﴾ : أى كما كان الضر من عندنا كان كشفه والرحمة (من عندنا) ومعنى من عندنا أى من حيث لا تناله قدرة العباد ، وكل مكان اختص بقدرة الله وحده يطلق عليه « عند الله » وأما قوله : ﴿ وذكرى للعابدين ﴾ .

فالمعنى : فعلنا به ما فعلنا رحمة منا له ، وذكرى وتذكرة لكل من عبد الله وحده بإخلاص ، فلا يتحول عن حمد الله وطاعته ، مهما تصرف عليه من شدائد

---

(١) سورة الأنبياء : الآيتان (٨٣ ، ٨٤) .

(٢) سورة ص الايات (٤١ ، ٤٢ ، ٤٣) .

الدنيا ومصائبها ، بل يثبت معها على إدامة العبادة وإمدادها بالزيادة ، كما فعل أيوب عليه السلام وما يفعله العُباد المخلصين و فى هذا : (**ذكرى للعابدين**) .

ـ أما فى سورة (ص) :

شكا نبى الله أيوب عليه السلام إلى الله تعالى مايلحقه من أذى الشيطان بوسوسته إليه ، ليضيق صدره لما أصابه ولينقص حمده وشكره ، فهان عليه المرض الذى ينقص من الأبدان ، فى جنب ما يؤثر فى الأديان ، ويخل بالطاعات ، ويشغل من الزمان بمدافعة الوسواس ، فلما كان هذا له أهم ، وخاف من جهته الضرر الأشد . أعانه الله برحمة منه مضافة إليه مختصة بإرادته

ولما كانت شكوى أيوب عليه السلام فيما أخبر الله تعالى به فى سورة (ص) أعظم ، والبلوى به أكبر ، أخبر أنه رحمه رحمة ، وأنعم عليه نعمة لا يجزى أمثالها على أيدى خلقه ، بل هى مما يختص بفعله سبحانه

فقال (**رحمة منا**) فهذا فرق ما بين قوله ﴿ **رحمة من عندنا** ﴾ وقوله ﴿ **رحمة منا** ﴾ [١] أما الكرمانى فقال فى البرهان [٢] .

إنه هنا (أى فى سورة الأنبياء) بالغ فى التضرع بقوله : ﴿ **وأنت أرحم الراحمين** ﴾ فبالغ سبحانه وتعالى فى الإجابة فقال ﴿ **رحمة من عندنا** ﴾ لأن (عند) حيث جاء دل على : أن الله سبحانه وتعالى تولى ذلك من غير واسطة

وفى سورة (ص) لما بدأ القصة بقوله ﴿ **واذكر عبدنا** ﴾ ختم بقوله (منا) ليكون آخر الآية لقفا بالأول .

أما قوله وذكرى لأولى الألباب فلأن أولى الألباب أعم من العابدين ، واستدفاع وساوس الشيطان أعم من الاستشفاء للأبدان ، فخص بكل آية ما اقتضاه صدر الكلام وتعرض أيوب عليه السلام بالسؤال .

---

(١) درة التنزيل ص ٣٠٢

(٢) البرهان ص ١٤٣ .

سورة الحج

(٣٨) قال تعالى فى سورة البقرة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ . . . ﴾ الآية ٦٢ .

قال تعالى (فى سورة الحج) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ الآية ١٧ .

قدم النصارى على الصابئين فى (سورة البقرة) لأنهم أهل كتاب فكان الترتيب فى هذه الآية على حسب ترتيب كتب الله فصحف إبراهيم قبل التوراة والتوراة قبل الإنجيل . . أما الصابئون فلا يثبتون على دين وينتقلون من ملة إلى ملة ولا يؤمنون بكتاب فوجب أن يكونوا متأخرين عن أهل الكتاب ، أما الصابئون فمقدمون على النصارى في الزمان ، لأنهم كانوا قبلهم فقدمهم [١] فى سورة الحج فالأول (فى سورة البقرة) على ترتيب الكتب والثانى (فى سورة الحج) على ترتيب الأزمنة .

(٣٩) وقال الحق فى هذه السورة ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ الآية ٤٧

وقال عز وجل فى سورة المعارج (الآية ٤)

﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾

ـ فى الأولى قال : كألف سنة مما تعدون

ـ وفى الأية الثانية : كان مقداره خمسين ألف سنة

فما الفرق بين القولين الكريمين ؟

قوله تعالى فى هذه السورة ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (من الآية ٤٧)

---

(١) درة التنزيل ص ٢١ .

أى ينعم المطيعون فى يوم عند ربك قدر ما يناله المنعم فى ألف سنة من أيام الدنيا ، ويعذب العصاة فى يوم مقداره ما يعذب به الإنسان فى ألف سنة لو بقى فيها ، فعذابه فى يوم واحد كعذاب ألف سنة مما نعد فى الحياة الدنيا وذلك لما يتضاعف عليهم من الآلام . .

والدليل على أن المراد فى هذه الآية ذلك قوله تعالى قبله :

﴿ **ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون** ﴾ فجهلهم باستعجالهم العذاب الذى هذا هو وصفه .

ـ أما قوله تعالى فى سورة المعارج :

﴿ **تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ أى تصعد الملائكة وجبريل عليهم السلام إلى حيث يعطى الله فيه الثواب أهل طاعته ، ويحل فيه العقاب بأهل المعصية ، وأن ذلك فى يوم هو يوم القيامة ، يفعل الله تعالى فيه من محاسبة عباده ، وإعطاء كل منهم حقه ، مالا يكون مثله فى الدنيا إلا فى خمسين ألف سنة (والله أعلم) .

وجواب ثان : للفرق بين القولين وهو أنه يجوز أن يكون يوم القيامة يوما بلا آخر وفيه أوقات مختلفة طولا وقصرا ، كما كان فى أيام الدنيا ، كان الوقت بين صلاة الفجر وصلاة الظهر أطول مما بين الظهر وبين العصر مثلا ، فبعضها ألف سنة وبعضها خمسون ألف سنة .

وجواب ثالث : وهو أن يكون اليوم الذى أخبر الله تعالى عنه فى سورة السجدة والذى فى سورة الحج هما من الأيام التى عند الله ، وهى التى خلق فيها السموات والأرض وكل يوم منها ألف سنة من سنى الدنيا ، وأما فى سورة المعارج فإن المراد به أنه لثقله على الكافرين واستطالتهم له وصعوبته وهوله عليهم يصير بخمسين ألف سنة [١] .

---

(١) درة التنزيل ص ٣٧٧ ، ص٣٧٨ .

سورة الفرقان

(٤٠) قوله تعالى فى هذه السورة ﴿ تبارك ﴾ ، وهذه لفظة لا تستعمل إلا لله سبحانه وتعالى ولا تستعمل إلا بلفظ الماضى ، وجاءت فى هذه السورة فى ثلاث مواضع هى :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الآية ١)

﴿ تَبَارَكَ الَّذِى إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴾ (الآية ١٠)

﴿ تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِى السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ (الآية ١١)

إن ماجاء فى هذه الآيات الكريمة من تكرار للفظ ﴿ تبارك ﴾ ليس تكرارا وإنما هو تعظيم وتقديس للحق سبحانه وتعالى ، وهو أهل للتعظيم والإجلال والتقديس

ففى الآية الأولى : تعالى الله وتمجد وتقدست أسماؤه فهو المنزل للقرآن العظيم المشتمل على معانى جميع كتب الله المنزلة على أنبيائه ومهيمنا عليها . فقال معظما لذاته : (تبارك)

وفى الآية الثانية : الله سبحانه وتعالى هو القادر أن يجعل لنبيه خيرا كثيرا وجنات تجرى من تحتها الأنهار ويجعل له قصورا ، فبيده سبحانه وتعالى الخير كله فى الدنيا والآخرة . فقال : (تبارك) معظما قدرته .

وفى الآية الثالثة : تبارك وتعالى صنيعه وقدرته فى الخلق والإيجاد من عدم فهو الخالق للسمآء وما فيها من بروج وشمس وقمر لولاها ما كان على الأرض من حياة ووجود . فسبحان الخالق البارئ المصور . . فقال : (تبارك) معظما بديع صنعه .

لذا نجد أن قوله : (تبارك) جاء تعظيما لذكر الله وخصت هذه المواضع بالذكر لأن ما بعدها عظائم فكما رأينا فى الأولى : ذكر للكتاب العظيم ، ونبيه خاتم

الأنبياء والمرسلين .

وفى الثانية : ذكر للخير العظيم الذى لو شاء لجعله لأعظم المرسلين .

وفى الثالثة : ذكر لخلق السماوات وبديع صنع الله وما فيها من ضروريات الحياة على الأرض ، وبالتالى لم يكن تكراراً بل تسبيحا ، وذكراً وتعظيما ، وإقراراً بقدرة الله ، وعظمته فى خلقه . .

(٤١) الآيـة ٧٠ ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيمًا ﴾ والآية ٧١ بعدها ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾

ما وجه تكرارذكر التوبة فى الآية (٧١) مع ذكرها فى الآية التى قبلها ، والتوبة لا تكون إلا لله فما الفائدة فى قوله ﴿ فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾

ـ أما عن السؤال الأول فالتوبة الأولى رجوع عن الشرك والمعاصى ، والتوبة الثانية رجوع إلى الله سبحانه للجزاء والمكافأة ، بدلالة قوله ـ متابا ـ أى رجوعا ، وقوله فى مقام آخر ، ﴿ عليه توكلت وإليه متاب ﴾ أى مرجع ، وأما عن السؤال الثانى فلأن التوبة الرجوع إلى حكم الله وثوابه [١]

* * *

(١) أضواء على متشابهات القرآن ج٢ ص ٧٤ .

سورة الشعراء

(٤٢) فى هذه السورة الكريمة :

الآيتان الكريمتان :

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٦٧) ﴾

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦٨) ﴾

تكررت ثمان مرات بحكمة بالغة الاعجاز

الموضع الأول : جاء بعد أن وجه القرآن نظرهم إلى الأرض ، أو ليس فيما تنبته من كل زوج بهيج ما يثير فى النفس التأمل لمعرفة خالق الأرض ومحييها فجاءت بعد قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (٧) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٩) ﴾

الموضع الثانى : جاء تكرار الآيتين بعد أن تحدث الحق سبحانه وتعالى عن انفلاق البحر لموسى ، ونجاته وغرق فرعون وجنوده ، وتلك آية من آيات دلائل قدرته سبحانه ، جديرة بتسجيلها والإشارة إليها ، إن فى ذلك لآية عظيمة ، وما كان أكثرهم مؤمنين حيث كان أتباع موسى قليلين ، حيث قال عنهم فرعون ﴿ إن هولاء لشرذمة قليلون ﴾ ثم إن ربك كان وما زال عزيزا فى انتقامه من المكذبين ، رحيما بالمؤمنين برسالات السماء .

الموضع الثالث : بعد ذكر الغاوين ، وما كانوا يعبدون من دون الله ، وجنود إبليس أجمعين وقد كبكبوا فى جهنم ، وأخذوا يختصمون فيما بينهم ، ويقرون أنهم كانوا فى ضلالة وعمى ، ويتمنون لو عادوا ، ليصلحوا ما أفسدوه أوليس فى ذلك من العظة وما ينهى عن مثل هذا المصير . فإن فى ذلك لآية ، والغاوون وجنود إبليس كثيرون . ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ . وإن ربك لهو العزيز فى انتقامه ، الرحيم بالمؤمنين .

ثم تكررت بعد ذلك فى خمسة مواضع عقب قصص أنبياء الله عليهم السلام تُذكر فى كل مرة بما كان من عصيان الأقوام لدعوة أنبيائهم ، وانتقام الله منهم ، وما كان فى الانتقام من آية وتنبيه بأن الله هو العزيز فى انتقامه من العصاة المعاندين وأنه رحيم بالمؤمنين .

(٤٣) نلاحظ أن قول أنبياء الله : نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام تطابقت فى بداية تخاطبهم مع أقوامهم . وتكررت الآيات ﴿ **إذ قال لهم أخوهم ... ألا تتقون** ﴾ ﴿ **إنى لكم رسول أمين** ﴾ ﴿ **فاتقوا الله وأطيعون** ﴾ ﴿ **وما أسئلكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين** ﴾ .

نتساءل لماذا لم يخاطب موسى عليه السلام فرعون بهذه الآيات ؟ كذا لم لم يخاطب إبراهيم عليه السلام أبيه بهذه الآيات أيضا ؟ .

إن هذا ـ والله أعلم ـ يرجع إلى طبيعة دعوة كل من موسى وإبراهيم (عليهما السلام) ، لا من حيث الأصول والأهداف ، فإن كل الرسالات ذات أصول وأهداف واحدة ، وإنما من حيث بيئة الدعوة ونوع الأمراض والانحرافات التى تشيع فيها ، مما يجعل لكل دعوة طبيعتها الخاصة حيث الجوانب التى ترتكز عليها والأولويات التى تتقدم على غيرها ، ومن حيـ سلوب المواجهة أيضا مع قوى الباطل فى هذه البيئة حسب مدى سيطرتها عليها أو درجة تجاوبها مع الدعوة ، أو نوع الخطر الذى يتوقع منها . . وهكذا .

من هنا فإن قصة موسى لم تبدأ بنفس خطاب الأنبياء الخمسه مع قومهم وإنما بدأت بما هو أنسب لها وبما هو ألصق بظروف دعوة موسى لذا بدأت بقوله : ﴿ **وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (١١) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ** . . ﴾ إلى آخر الآيات (١٠ ـ ١٤) .

إن ظروف دعوة موسى كانت شديدة التعقيد . إنها مواجهة مع حاكم جبار يريد أن يعبده الناس ، وقال لهم أنه ربهم الأعلى ، ومواجهة مع ملئه الذين استخفهم فأطاعوه . . مواجهه معه ومعهم ، لهدايتهم من ناحية ، ولا ستنقاذ بنى

إسرائيل من بين أيديهم من ناحية أخرى .

إن كل نبى من هؤلاء كان هو الذى يبدأ بتوجيه قومه إلى التقوى بقوله : ﴿ ألا تتقون ﴾ . . أما فى دعوة موسى فإن الذى بدأ هذا التوجيه هو الله ذاته ـ سبحانه ـ فقال له : ﴿ أن أئت القوم الظالمين * قوم فرعون ألا يتقون ﴾

(٤٤) قال الحق سبحانه وتعالى فى هذه السورة

﴿ وما أسئلكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين ﴾

تكررت هذه الآية الكريمة خمس مرات [١] وذلك فى ذكر ما قاله أنبياء الله (نوح ـ هود ـ صالح ـ لوط ـ شعيب) عليهم السلام إلى أقوامهم عبر قصصهم المذكورة فى هذه السورة .

لكننا نرى أن فى قصة نبى الله موسى ونبى الله إبراهيم عليهما السلام لم يرد ذكر هذه الآية التى تكررت مع قصة نبى الله نوح ، وهود ، وصالح ولوط وشعيب فلم لم تذكر فى قصة نبى الله موسى ونبى الله إبراهيم عليهما السلام .

هذا النص ﴿ وما أسألكم عليه من أجر ﴾ أو ما يماثله لم يصدر من موسى تجاه فرعون وقومه أو من إبراهيم تجاه قومه فى أى موضع بالقرآن كله [٢] وذلك لأن موسى رباه فرعون . . والأنبياء أعظم الناس عرفانا بالفضل ولو كان من كافر ، كما أنهم أدرى الناس بطباع الكفار وما فيها من الفخر والمن ، فلا يليق ـ والحال كذلك ـ أن تصدر من موسى هذه المقولة : ﴿ وما سألتكم عليه من أجر ﴾ سيكون الرد الفورى هو : كيف تتنزه عن طلب الأجر أو تدعى استغناءك عنا وأنت الذى ربيت فينا ؟ بل إن فرعون قال له بالفعل ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ الشعراء الآية (١٨) برغم أن المقولة السابقة لم تصدر من موسى . . فما بالنا لو صدرت [٣] .

---

(١) الآيات ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٨٠ .

(٢) المثاني القرآنية ص ٨٥ ، وانظر المعجم المفهرس مادة « أجر » ص ١٣ ، ص ١٤ .

(٣) المثاني القرآنية ص ٨٥ .

كذلك إبراهيم عليه السلام ـ كان يخاطب قومه وفيهم أبوه ومقام الأبوة وفضل الوالد على ولده أمر معلوم .

فكأن إبراهيم تجنب إعلان التنزه عن الأجر أو الاستغناء عن قومه حتى لا يمس مقام أبيه أو فضله عليه .

وهذه المقولة الكريمة (**وما سألتكم عليه من أجر**) لم تصدر من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : ولكن صدر الأمر من الله سبحانه وتعالى له بأن يقولها بقول ﴿ **قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا** ﴾ فزادته إعزازا وتأييدا ونصرة من الحق سبحانه وتعالى . . ولذلك لم يَرُدّ عنهم أى رد فعل . بل ألجمتهم . . فصمتوا . . اعترافا منهم بالحق رغم أنهم كانوا له كارهين :

﴿ **قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِين** ﴾ الأنعام ٩٠

﴿ **قُلْ مَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلا** ﴾ الفرقان ٥٧

﴿ **قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُم** ﴾ سبأ / ٤٧

﴿ **قُلْ مَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِين** ﴾ ص / ٨٦

﴿ **قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَىٰ** ﴾ الشورى / ٢٣

من الآيات الكريمة السابقة نجدها جميعا اقترنت بقول الحق سبحانه وتعالى لرسولنا بالأمر الكريم ﴿ **قل** ﴾ . . ولم يأت الأمر مع أى نبى من أنبياء الله . بهذا القول إلا لرسولنا ﷺ

* * *

سورة القصص

(٤٥) فى هذه السورة يقول المولى عز وجل فى الآية (٢٠)

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِيـــــنَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ .

وجـاء فى سـورة يس ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِيـــنَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١)

فى سورة يس تقدم قوله تعالى ﴿ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ ﴾ على ﴿ رجل ﴾ الذى هو الفاعل ﴿ و جَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُل ﴾ . . وفى القصص ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَة ﴾ هذا من بلاغة التقديم والتأخير فى القرآن الكريم .

إن الفاعل فى الموضعين لما كان نكرة (رجل) ، والمعنى جاءجاء ، ﴿ و جَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُل ﴾ .

الذى يفيد المخاطب أن يعرف أنه جاء من مكان بعيد إلى مجتمع الناس فى القرية ، وحيث لم يكن قريبا من أحداث ومجريات القصة ، ولا يحضر موضع الدعوة ومشهد المعجزة . فقدم ما فيه تبكيت القوم وتوبيخهم به أعظم والتعجب منه أكثر فقال

﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَة رَجُلٌ ﴾ . ينصح لهم مالا ينصحون مثله لأنفسهم ، ولا ينصح لهم أقربوهم ، مع أنه لم يحضر جميع ما يحضرونه ، ولم يشهد من كلام المرسلين ما يشهدونه ، فحثهم على اتباع الرسل المبعوثين إليهم . وقبول ما يأتون به من عند مرسلهم ـ سبحانه وتعالى ـ أما فى سورة القصص فإن المراد جاء من لا يعرفه موسى من مكان لم يكن مجاورا لمكانه فأعلمه مافيه ملأ قوم فرعون من ائتمارهم به فاستوى حكم الفاعل والمكان الذى جاء منه ، فقدم ماأصله التقديم

---

(١) سورة يس (الآية ٢٠) .

وهو الفاعل ، إذا لم يكن هنا تبكيت للقوم بكونه من أقصى المدينة كما كان فى سورة يس (١) .

ونقول أيضا والله أعلى وأعلم .

إن مهمة الرجل فى تلك الآيتين تختلف من حيث الأهمية

ففى سورة القصص : جاء لينقذ نبى الله موسى من الملأ الذين يأتمرون به ليقتلوه .

وفى سورة يس : جاء لينصح القوم باتباع المرسلين .

فكانت مهمته فى الأولى أهم وأخطر فتقدم ذكره فى سورة القصص ، وتأخر فى سورة يس فتناسب التقديم والتأخير الموضع والغرض فى كل من السورتين .

(٤٦) قوله تعالى فى الآية (٧١) ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) ﴾ .

وقوله بعدها فى الآيه (٧٢) : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ .

قدم الحق سبحانه وتعالى ذكر الليل فى الآية الأولى ، وجاء ذكر النهار في الآية الثانية لأن ذهاب الليل بطلوع الشمس أكثر فائدة من ذهاب النهار بدخول الليل (١) .

ختم الآية الأولى بقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ لأن الآية فى سياق ذكر الليل والسمع هو حاسة الإدراك التى لها أهميتها فى الليل .

وختم الآية الثانية بقوله تعالى ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ لان الإبصار هو الحاسة الأساسية فى الإدراك أثناء النهار .

* * *

(١) البرهان : للكرماني : صـ ١٦١ .

سورة لقمان

(٤٧) فى هذه السورة : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الآية (٧)

ـ وفى سورة الجاثية : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

للسائل أن يسأل عن فائدة قوله ﴿ كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ واستغناء الكلام عنه فى سورة الجاثية مع أن القصتين متشابهتان .

الجواب إن هذا الكافر لما أخبر الله عنه فى سورة لقمان بأنه يعرض عن القرآن إذا سمعه غير منتفع به ، حتى كأنه لم يسمعه ، وتستمر به هذه الحالة كما تستمر بمن به صمم . أما قوله فى سورة الجاثية : ﴿ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾ يدل على ما دل عليه كأن فى أذنيه وقرا ، لأن الإصرار عزم لايتهم معه بإقلاع ، فإذا أصر على التصام فهو كمن فى أذنيه وقر ، فصار أحد اللفظين يغنى عن الآخر ، ويقوم مقامه ، ويؤدى من المعنى أداءه ، فلذلك لم يجمع بينهما ، وكأن الموضع الذى ذكر فيه ﴿ وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا ﴾ أحق بقوله ﴿ كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ والموضع الذى ذكر فيه الإصرار على ترك الاستماع أغنى عن ذكر ﴿ كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾[1] . ونقول أيضا أنه فى سورة الجاثية جاءت فى شأن الكذاب كثير الإثم عندما يسمع آيات الله يكون عنده إصرارعلى الاستكبار على ماهو عليه .

كأن لم يسمعها فله عذاب أليم ، وتمضى الآية التى بعدها تصور ماهو عليه إذا علم من اياتنا شيئا قال تعالى : ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ ﴾ ﴿ مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن

---

(١) درة التنزيل ص ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١)

ففى سورة الجاثية تخصيص لكل أفاك أثيم ، وما يصدر منه من مواقف عدة عندما يسمع آيات الله تتلى عليه ، وما ينتظره من عذاب أليم ، وعذاب مهين ، وعذاب عظيم .

أما فى سورة لقمان فلم يكن فيها تخصيص لذا قال قبلها ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ .

(٤٨) الآية ٢٩ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ .

مامعنى (يولج) وما الفائدة فى تكرارها فى هذه الآية الكريمة ؟

- إن معنى - يولج - يدخل هذا فى هذا ، فما زاد فى أحدهما نقص من الآخر كنقصان نهار الشتاء وزياده ليله ، وزيادة نهار الصيف ونقصان ليله ، وفائدة تكرار (يولج) التنبيه على أمر مستغرب : وهو حصول الزيادة والنقصان معا فى كل من الليل والنهار فى آن واحد ، وذلك بحسب اختلاف البقاع ، كالشمالية عن خط الاستواء ، والجنوبية عنه ، سواء أكانت مسكونة أم لا ، فإن صيف الشمال شتاء الجنوب وبالعكس ، فزيادة النهار ونقصانه حاصلتان فى وقت واحد ولكن فى بقعتين ، وكذلك زيادة الليل ونقصانه (٢) .

* * *

(١) الآيتان (٩ ، ١٠) من سورة الجاثية .

(٢) أضواء على متشابهات القرآن ج٢ ص ١١٠ .

سورة الصافات

(٤٩) قال فيها الحق سبحانه وتعالى : تبشيرا لنبيه إبراهيم بغلام يأتيه :

﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ (١٠١)

وفى سورة الحجر : الآية (٥٣)

تبشير الملائكة له بقولهم ﴿ قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾

وفى سورة الذاريات (الآية ٢٨) جاءت البشارة بغلام عليم وأيضا عن طريق الملائكة فى قوله تعالى ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ نتساءل : هل هذا تكرار ؟ وأى غلام هذا الذى جاءت به البشارة وتكررت ؟ !

نقول والله أعلم . . أن هذا ليس بتكرار ولكنه الإعجاز القرآنى العظيم الذى يفجر ينابيع التأمل ، فتكون الفيوضات الإلهية والتى تفتح أمامنا قضايا غاية فى الأهمية . . نقف أمامها مشدوهين . . ينعقد أمامها اللسان أن يبين ـ غير ما وفقنا الله إليه أن نكتبه عبر هذه السطور

ـ إن البشارة التى فى سورة الصافات بشارة بغلام حليم ألا وهو إسماعيل عليه السلام .

والبشارة فى سورة الحجر (الآية ٥٣) وفى سورة الذاريات (الآية ٢٨) بغلام عليم : هو إسحق عليه السلام .

بُشرَ باسماعيل بأنه غلام حليم ، فأطاع ما أخبره أبوه به ، بأنه قد رأى فى المنام أنه يذبحه فكان حليما بأبيه ﴿ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ من الآية ١٠٢ ـ (الصافات) ولم يبشر به بأنه غلام عليم كما فى آية الحجر وآية الذاريات لأنه ما كان أن يبشر بأنه سيكبر ويكون عليما . . فكيف وهو سيبتلى فيه بالذبح . .

لذا فلم تكن البشارة بأنه عليم . . ولكن بأنه حليم وإلا تعارضت البشرى . . مع ما سيحدث ، وتعرضه للذبح . .

إذن حيث ذكر ﴿ بِغُلامٍ حَلِيمٍ ﴾ فإنه اسماعيل عليه السلام .

أما الغلام الذى بُشر به نبى الله إبراهيم أنه غلام عليم ، فهو إسحق . . فإنه سيكبر وسيكون عليما ويولد له يعقوب ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ (هود الآية ٧١)

سورة الزمر

(٥٠) قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴾ (١) .

وقال الحق سبحانه فى هذه السورة فى الآية (٤١)

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ (٢) .

فلمَ قال الحق سبحانه وتعالى فى الآية الأولى (إليك) ، وفى الآية الثانية (عليكَ) وما الفائدة المخصصة لكل واحد من اللفظين بمكانه الذى استعمل فيه ؟

نقول والله أعلى وأعلم .

فى قوله (أنزلنا عليك) : إن (على) يتضمن معنى فوق ، وأن يكون الوحى جاءه من تلك الجهة .

وفى (أنزلنا إليك) : (إلى) : تفيد للنهاية فلا يختص بجهة دون جهة وكذلك كان أكثر المواضع الذى ذكر فيها إنزال القرآن على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عدى (بعلى) كقوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى فى سورة الشعراء : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) ﴾ . وقال عز وجل : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٤) .

---

(١) الزمر الآية رقم (٢) .
(٢) الزمر الآية رقم (٤١) .
(٣) سورة الكهف : الآية (١) .
(٤) النحل : (٨٩) .

هذه المواضع الشريفة وكل موضع عدى فيه الإنزال (بعلى) فإن المراد به أنه شرفك ، وأعلى بذلك ذكرك ، لتؤدى ما عليك فتنذر وتبشر فمن قَبِلَ فحظه أصاب ، ومن أعرض فنفسه أوبق . ويكون فيه تهديد لمن ترك القبول لقوله تعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ ثم قال : ﴿ لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين ﴾ سورة الكهف من الآيتين (١ ، ٢) وكما قال فى سورة الزمر الآية (٤١) ﴿ إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل ﴾ هذا فى المواضع التى ذكر فيها ﴿ أنزلنا عليك ﴾ .

أما أكثر ما جاء ذكر إنزاله على الناس جاء معدى بإلى كقوله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [١] كذا كل موضع قيل فيه ﴿ أنزلنا إليك ﴾ فقد شدد فيه التكليف عليه أو أعقبه بأمر . . كقوله تعالى فى أول سورة الزمر ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴾ فقد أمر بإخلاص العبادة ، والمراد هو وأمته . وكقوله تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [٢] أعقبه بأمر تبينه للناس .

وكقوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [٣] .

وقوله تعالى ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [٤]

فنرى فى هذه الآية الكريمة قال فيها الحق (انزلناه إليك) فأعقبه بالتكليف والأمر بتدبر آياته وليتذكر أولوا الألباب .

---

(١) سورة النساء (١٧٤) .
(٢) سورة النحل (٤٤) .
(٣) سورة النساء (١٠٥) .
(٤) سورة ص (الآية ٢٩) .

(٥١) قال تعالى فى سورة الزمر فى حال أهل النار

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾[١] .

وقال تعالى فى أهل الجنة ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾[٢] .

للسائل أن يسأل عن الواو فى قوله « وفتحت » وتركها فى الأول ، وهل كان يجوز حذفها من الثانى وإثباتها فى الأول ؟

والجواب عن ذلك ما ذهب إليه بعض المفسرين : أن فى ذلك دلالة على أن أبواب جهنم كانت مغلقة ففتحت لما جاؤها ، وأن أبواب الجنة كانت مفتوحة قبل مجيء المؤمنين ، وفى قوله تعالى ﴿ حتى إذا جآءوها فتحت ﴾ : فيها من المباغتة والمفاجأة ما يصيبهم بالهول عند مجيئهم إلى النار ، أما فى قوله عن أهل الجنة ﴿ إذا جاءُها وفتحت أبوابها ﴾ فيها من الترحاب بهم وتلقى الملائكة لهم وقولهم لهم هذا يومكم الذى كنتم توعدون .

وزعم البعض أن هذه الواو هى واو الثمانية . . وتدل على أن أبواب الجنة ثمانية . واستدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم : « وما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » رواه عمر بن الخطاب وخرجه مسلم .

* * *

(١) سورة الزمر : الآية ٧١ .

(٢) سورة الزمر : الآية ٧٣ .

سورة غافر

(٥٢) جاء فى هذه السورة :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ ﴾ (٣٦)

﴿ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ ﴾ (٣٧)

السؤال : مافائدة تكرار (أَسْبَابَ)ولو قيل لعلى أبلغ أسباب السموات لأجزأ ؟

للإجابة عن هذا السؤال نقول (والله أعلم) : إذا ابهم الشىء ثم أوضح كان تفخيما لشأنه ، فلما أراد تفخيم ما أمَّل بلوغه من أسباب السموات أبهمهما ثم أوضحهما ، ولأنه ـ لما كان بلوغها أمراً عجيبا ، أراد أن يورده على نفس متشوقة اليه ، ليعطى السامع حقه من التعجب ، فأبهمه ليشوق إليه نفس هامان ثم أوضحه [١] وفى سورة غافر : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُون ﴾ (٥٩) .

(٥٣) وقال تعالى فى سورة طه ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ الآية ١٥

للسائل أن يسأل عن اللام الداخلة على (آتِيَة) فى سورة غافر وخلوها منها فى سورة (طه) .

الجواب : يقال إن اللام التى تقع فى خبر إن أو اسمها إذا حلت محل الخبر تؤكد الكلام ، والعرب تحرص على التوكيد فى موضعه وتركه فى غير موضعه .

ففى سورة (غافر) : الخطاب لقوم كفار ينكرون قيام الساعة . فكان التوكيد لهم بأنها لآتية . . أما التى فى سورة (طه) خطاب لموسى عليه السلام ، وهى فى ضمن كلام الله سبحانه وتعالى ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ [٢] وقال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ [٣] ولم يكن موسى عليه السلام ممن ينكر قيام الساعة . . فلم يحتج الكلام إلى توكيد فإذا كان الأمر على ما بينا وضح الفرق بين الموضعين الشريفين

---

(١) أضواء على متشابهات القرآن ج٢ ص ١٧٧ .

(٢) سورة طه (الآية ١٢) .

(٣) سورة طه (الآية ١٥) .

سورة الشورى

قال تعالى فى هذه السورة

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُور ﴾ (١)

وفى سورة لقمان :

﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُور ﴾ (٢)

(٥٤) نتساءل لمَ فى سورة الشورى قال الحق ﴿ لَمِن عَزْمِ الأُمُور ﴾ وفى سورة لقمان قال ﴿ مِنْ عَزْمِ الأُمُور ﴾ نقول والله أعلى وأعلم .

إن درجة الصبر فى الأولى أشد من درجة الصبر فى الثانية

فالصبر فى الأولى : صبر على مكروه ينال الإنسان ظلما من الناس الذين يبغون فى الأرض بغير الحق وهو ما تتحدث عنه الآية السابقة لهذه الآية . ثم يستتبع هذا الصبر ، مغفرة من المظلوم ـ إن هذا لمن عزم الأمور وأحمزها . فناسب ذلك أن يقول فيهم الحق سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُور ﴾ . . فألحق اللام بـ (من) لزياده التوكيد ، فهذه الطائفة طائفة صابرة ، وتتحمل الظلم وتغفر لمن أساء إليهم .

ـ أما فى سورة لقمان : فإنها نصيحة من لقمان لابنه أن يصبر على ما قد يصيبه من أذى ممن يسىء إليه ، ولم يطلب منه أن يستتبع صبره المغفرة لمن أساء إليه ، فناسب ذلك أن يقول له ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُور ﴾ لذا لم يكن تكرارا . . بل كان تصنيفا للعزم ، ومناسبة كل قول كريم لما سبقه من درجة الصبر .

---

(١) سورة الشورى الآية ٤٣ .

(٢) سورة لقمان الآية ١٧ .

سورة الزخرف

(٥٥) فى هذه السورة :

﴿ وَهُوَ الَّذِى فِى السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِى الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ (الآية (٨٤)

ماوجه تكرار لفظ (إله) فى هذه الآية مرتين ؟

للإجابة عن هذا التساؤل نقول :

إنما كررت لوجهين :

الأول : ليتمكن معنى الألوهية فى النفس ، وأن سلطانه موجود فى السماء وفى الأرض .

الثانى : لأن المعنى هو إله السماء يجب على الملائكة عبادته ، وإله فى الأرض يجب على الإنس والجن عبادته [١] .

(١) أضواء على متشابهات القرآن ج٢ ص ١٩٩ .

سورة الأحقاف

(٥٦) فى هذه السورة الكريمة : الآية (١٥) قوله تعالى :

﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا ﴾

ـ وفى سورة لقمان : الآية (١٤)

﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ ﴾

استخلص المفسرون من هاتين الآيتين أن أقل مدة للحمل ستة أشهر [١] فالآية الأولى ذكر فيها الحق سبحانه وتعالى : الحمل والفصال دون فاصل بينهما فمجموع حمله وفصاله = ٣٠ شهرا .

أما آية سورة لقمان لم يذكر الحمل ولكن ذكر الفعل : حملته ثم فصل هذا الذكر وبين الفصال . . أى ذكر فى هذه الآية مدة الفصال فقط

فصاله = ٢٤ شهرا

بطرح مدة الفصال (٢٤) من مدة الحمل والفصال (٣٠) يتبين أن مدة الحمل = ٣٠ - ٢٤ = ٦ أشهر وهذه هى أقل مدة للحمل .

* * *

(١) قواعد وفؤائد ص ١٠٩ .

سورة الذاريات

(٥٧) فى سورة الذاريات ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ ﴾

نقول ما الفرق بين (سلاما) فى قول الملائكة وتسليمهم على نبى الله إبراهيم عليه السلام .

وقول نبى الله إبراهيم عليه السلام ﴿ سَلَامٌ ﴾ .

ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ أن تحية إبراهيم ـ عليه السلام ـ أحسن من تحية الملائكة عليهم السلام . وذلك أن الملائكة سلموا على إبراهيم بجملة فعليه تقديرها « نسلم عليك سلاما » ـ ـ وهى تفيد التغير والتجدد ـ أما إبراهيم فقد سلم بجملة اسمية تقديرها « عليكم سلام » وهى تفيد الثبوت والاستقرار [١] .

ويقول ابن كثير فى تفسيره [٢] عن السلامين الواردين فى هذه الآية : الرفع (سلامٌ) أقوى وأثبت من النصب فى (سلاماً) . فرده أفضل من التسليم عليه ولهذا قال الحق سبحانه ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ [٣] فالخليل اختار الأفضل .

(٥٨) قال الحق سبحانه وتعالى فى هذه السورة الكريمة ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

للسائل أن يسأل عن تكرار قوله تعالى ﴿ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ وعن موضع الإنذار مرة بعد أخرى فى آيتين متتاليتين ؟

---

(١) قواعد وفوائد لفقة كتاب الله تعالي : عبد الله بن محمد الجوعي ص ٤٢ ط / دار الوطن للنشر والرياض .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٣٥ .

(٣) سورة النساء : (من الآية : ٨٦)

الجواب أن يقال:قوله تعالى قبل هاتين الآيتين :

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ومعناه خلقنا من الحيوانات ذكرا وأنثى ، ومن غيرها الشيء وما يزاوجه بما يماثله أو يضاده فيقابله ، لتذكروا أن خالقكم بعيد عن شبهكم ، وأنه وحده لا نظير له يشاكله ، ولا ضد له يناصبه ويقابله ، لأن الخالق بخلاف خلقه .

ففروا إلى الله عما حذركم من معصيته ، إلى ما حثكم عليه من طاعته ، فإنى أنذركم ما تواعدكم به من عقوبته ، وهذا تحذير من المعاصى كلها وبعث على الطاعات جميعها ثم خص ما هو أعظم فقال ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾ : أى لا تتخذوا الأصنام آلهة تعبدونها مع عبادة الله تعالى فإنى أحذركم أن تجعلوا له مثلا .

فالنذارة الأولى : متعلقة بترك المعصية

والنذارة الثانية : متعلقة بالشرك الذى هو أعظم المعاصى ، وإذا كانت متعلقة بغير ما تعلقت به الأولى لم يكن ذلك تكرارا [١]

* * *

(١) درة التنزيل ص ٤٥١ ، ص ٤٥٢ .

سورة الرحمن

(٥٩) لقد تكرر قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

فى سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة ، فما السر فى ذلك ؟ نقول والله أعلى وأعلم

أن ثمانية منها : ذكرت عقيب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم .

ثم سبعة منها : عقيب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم وذكر الآلاء عقيبها ، لأن فى صرفها ودفعها نعما توازى النعم المذكورة ، أو لأنها حلت بالأعداء وذلك يعد أكبر النعماء .

وبعدها ثمانية : فى وصف الجنان وأهلها على عدد أبواب الجنة .

وثمانية أخرى بعدها : للجنتين اللتين دونهما .

فمن أعتقد فى الثمانية الأولى وعمل بموجبها ، استحق الثمانيتين من الله (التى فى وصف الجنان) ووقاه السبعة السابقة التى فيها ذكر النار وشدائدها والله تعالى أعلم [١]

* * *

(١) أسرار التكرار ص ١٩٨ ، راجع البرهان في علوم القرآن للزركشي ج ٣ص ١١ لمعرفة المزيد من حكمة تكرار الآية الكريمة (فبأي الاء ربكما تكذابان) .

سورة الطلاق

(٦٠) فى هذه السورة الكريمة تكرر قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ ﴾ . . ثلاث مرات ووعد فى كل مرة بنوع من الجزاء ـ قال تعالى آمراً بتقواه فى هذه السورة فجاءت : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾[١] معناه (والله أعلم)فيما أورده بعض المفسرين

أى يخرجه مما دخل فيه ولم يوفق ، ويبيح له زوج أخر من حيث لا يأمل ـ وفى الآية (٤) : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ أى يسهل عليه الصعب من أمره ويبيح له خيرا ممن استحالت العشرة معه .

وفى الموضع الثالث من الآية (٥) ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ وهو وعد عليه بأفضل الجزاء وهو ما يكون فى الآخرة من النعماء[٢] ـ فكل شرط من تُقى الله عز وجل قرن إليه من الجزاء ما لاق بمكانه الذى ذكر فيه . والأخير لما كان مقدما على أحوال احتاجت إلى غاية الترغيب وإلى المبالغة فى الترهيب ، وعد عليه أفضل الجزاء وهو ما يكون فى الآخرة من النعماء .

فتدبر ذلك التكرار المعجز فى ذكر تقوى الله وجزائها المقرون بها .

* * *

(١) سورة الطلاق الآية (٢) .

(٢) أسرار التكرار ص ٢٠٦ .

سورة الملك

(٦١) فى هذه السورة الكريمة ذكر الحق سبحانه وتعالى الأمر الكريم منه ، بقوله : ﴿ ارْجِعِ الْبَصَرَ ﴾ ليكون إرجاع البصر ثلاث كرات فما سبب ذلك . . ؟

نقول والله أعلى واعلم .

إنه التحدى المعجز من الخالق البارئ للإنسان . ففى الأولى ذُكرت بعد ذكره الكريم لخلق السموات طباقا ، فهل فيها خلل أو تصدع أو شقوق فكان قوله تعالى ﴿الذى خَلَقَ سَبْع سَمَوْاتٍ طِبْاقاً مَا ترىْ فِى خَلَقْ الرحمنِ مِنْ تفوْاتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ ترىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ . . الآية (٣)

أما رجع البصر الثانى ، فهو كالأمر بالنظر فى خلق السموات ، وهو متجه إلى تحدى الإنسان أن يحصى ما فيها من عجائب الخلق أو يحيط بما فيها من كواكب وسيارات ﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصر كَرَّتَيْنِ ينقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ الآية (٤) .

لذا ذكر بعده ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيح ﴾-كما أعجز الخلق أن يعلموا شيئا عن السموات الأخرى غير السماء الدنيا مهما استعانوا بوسائل الكشف جيلا بعد جيل ، وكرة بعد كرة ، فمهما حاولوا فإن البصر سينقلب خاسئا وهو حسير والعجز متحقق من الإنسان فى الكرتين﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصر كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾

فالأولى : عجز عن إحصاء الكواكب والسيارات

وفى الثانية : عجز عن معرفة حقيقة السماء الدنيا والسمٰوات الأخرى [١]

* * *

(١) أسرار التكرار هامش ص ٢٠٦ ، ص ٢٠٧ .

سورة الحاقة

(٦٢) تبدأ هذه السورة بتكرار لفظ (الحاقة) ﴿ الْحَاقَّةُ ① مَا الْحَاقَّةُ ② ﴾ .

هذا فى مقام التعظيم والتهويل كقولة تعالى ﴿ الْقَارِعَةُ ① مَا الْقَارِعَةُ ﴾ سورة القارعة الآيتان ١ ، ٢)

وذلك لعظم أمرها فكرر اللفظ .

(٦٣) قوله تعالى : ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾(الآية : ٤١)

وقوله تعالى : ﴿ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الآية : ٤٢)

لِمَ خص ذكر الشعر بقوله تعالى (مَّا تُؤْمِنُونَ) ؟ نقول والله أعلم : لأن من قال : القرآن شعر ، ومحمد شاعر ، بعدما علم اختلاف آيات القرآن الكريم فى الطول والقصر ، إذ منه آية طويلة وأخرى إلى جنبها قصيرة ، (كآية الدين فى سورة البقرة الآية (٢٨٢) أطول آية فى القرآن الكريم والآية التى قبلها قصيرة وهى ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُون ﴾) فاختلاف المقاطع ينبئ العرب شاعرها ومفحمها أنه ليس بشعر ، فمن نسبه إلى إنه شاعر فهو لقلة إيمانه ، وأما من قال أنه كاهن فلأن كلام الكهنة نثر غير نظم ، وفيه سجع وهو مخالف للشعر أيضا ، فمن قال انه ككلام الكهان فإنه ذاهل عن تذكر مابنى عليه كلامهم من السجع الذى يتبعون به معانى ألفاظهم .

وحق اللفظ فى البلاغة أن يكون تابعا للمعنى ، وهو ما عليه القرآن الكريم ، فلو تذكر قائل هذا القرآن إن هذا النثر مخالف لكلام الكهنة فيما ذكرنا لما قال إنه قول كاهن . . فكلام الكهنة أسجاع لا معانى تحتها ولا يكون مع كلامهم ذكر الله . فلذلك عقبه بقوله ﴿ قليلا ما تذكرون ﴾ [1]

---

(١) درة التنزيل ص ٤٩٥ ، اسرار التكرار ص ٢٠٨ . (بتصرف)

سورة المعارج

(٦٤) قال سبحانه وتعالى فى سورة الذاريات

﴿ وَفِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (الآية ١٩)

ـ وقال عز من قائل فى سورة المعارج

﴿ وَالَّذِينَ فِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) ﴾

فى الآية الأولى لم يحدد الحق سبحانه وتعالى مقدار الحق فى الأموال التى تدفع للسائل والمحروم فقال تعالى : ﴿ وَفِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾

أما فى الآية الثانية حدد هذا الحق بأنه حق معلوم أى محدد بنسبته وهى ربع العشر . . .

فلِم حدد فى الثانية المقدار ولم يحدده فى الآية الأولى . ؟

نقول والله أعلى وأعلم :

أن الآية الأولى جاءت فى سياق الحديث عن المتقين فقبلها من الآية (١٤) من سورة الذاريات ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ إلى أن قال فى هذه الآية ﴿ وَفِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ فترك تحديد قيمة هذا الحق للمتقين الذين يزيدون عن الحق المعلوم فى أموالهم ، فيزيدون فى العطاء والصدقات للسائل والمحروم . .

أما الآية الثانية فهى فى سياق الحديث عن المصلين على عمومهم فحدد النسبة والقدر المطلوب منهم فى أموالهم للسائل والمحروم فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ فِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾ .

* * *

سورة المزمل

(٦٥) جاء فى هذه السورة الكريمة :

﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلا ﴾(الآية : ٩)

وفى سورة الرحمن : جاء ذكر المشرق والمغرب على صورة المثنى فى قوله تعالى : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾(الآية : ١٧)

وجاء ذكر المشرق والمغرب على صورة الجمع فى قوله تعالى فى سورة المعارج : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُون ﴾(الآية : ٤٠) فماهى بعض الحكمة من هذا الذكر الحكيم الذى نراه فى صوره الثلاثة ؟

ـ للجواب عن ذلك نقول والله أعلم : إن إفراد المشرق والمغرب ، وتثنيتهما ، وجمعهما ، جاء حسب اختلاف المقامات ومقتضيات الأحوال : ـ

ـ فإفرادهما (فى سورة المزمل) لاعتبار الجهة : لأنه سبحانه وتعالى لما أمر نبيه ﷺ بقيام الليل إلا قليلا ، وأخبر أن له فى النهار سبحا طويلا ، فذكر الليل والنهار تتمة بذكر المشرق والمغرب اللذين هما مصدرا الليل والنهار . وكان ورودهما منفردين أنسب للمقام وتحديدا لجهة المشرق والمغرب ، واللتان تحددان الليل والنهار وبالتالى الصلوات المفروضة والسبح فى النهار ، وقيام الليل

والتثنيه فى (سورة الرحمن) لاعتبار مشرق الصيف والشتاء ومغربهما . . ولأن سياق السورة سياق المزدوجين .

وجمعا فى سورة المعارج ، لأنه لما كان القسم فى سعة مشارق ومغارب ربوبيته وإحاطة قدرته ، والمقسم عليه تبديل هؤلاء ، والإتيان بخير منهم ، ذكر المشارق والمغارب لتضمنها انتقال الشمس وتصريفها كل يوم فى مشرق ومغرب ، دلالة على قدرته على أن ينقل مكانهم خيرا منهم [١] .

---

(١) الاعجاز البياني ص ٣٠٥ نقلا من الإتقان (١ / ١٩٣) والبرهان (٤ - ١٦ ، ١٧).

سورة المدثر

(٦٦) قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ﴾

ـ قال الكرمانى : أعاد ﴿ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ مرتين ، وأعاد ﴿ قَدَّرَ ﴾ ثلاث مرات . لأن التقدير : إنه (أى الوليد) فكر فى بيان محمد ﷺ وما أتى به (أى القرآن) وقدر ما يمكنه أن يقول فيهما ، فقال الله سبحانه : ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ أى القول فى محمد ، ﴿ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ﴾ أى القول فى القرآن (١) .

ـ وقال الزركشى فى البرهان (٢) فى قوله ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ﴾ (١٩) ﴿ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ﴾ (٢٠) . (التكرار للتعجب) أعيد تعجباً من تقديره وإصابته الغرض على حد : قاتله الله ما أشجعه ! .

وقال ابن كثير فى تفسيره (٣) عن تكرار قوله تعالى ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ﴾ ﴿ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ﴾ أنه دعاء عليه (أى على الوليد بن المغيره المخزومى) .

* * *

(١) البرهان : تحقيق عبد القادر أحمد عطا صـ ٢١٠ .
(٢) البرهان : في علوم القرآن ج ٣ صـ ١٨ .
(٣) تفسير بن كثير ج ٤ صـ ٤٤٢ .

سورة المرسلات

(٦٧) قوله تعالى فى هذه السورة

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِين ﴾

تكررت هذه الآية عشر مرات . نقول لأن كل واحدة منها ذكرت عقب آية غير الأولى . فلا يكون تكرارا ولو لم يكرر وكان متوعدا على بعض دون بعض [١] .

فكانت هذه الآية الكريمة ردف كلام يدل على ما يجب تصديقه وترك التكذيب به ، وكانت المعانى مختلفة ، فسلم من التكرار [٢] فنجد أن السورة تتحدث عن وقوع اليوم الآخر ، وتصفه ، فوجب تكرار هذا الإنذار عقب كل وصف له ، أو فعل يقع فيه ، أو عمل من الله يدل على قدرته ، فهو يحيى الناس بعد موتهم ، وفى هذا التكرار ما يوحى بالرهبة ، ويملأ القلب رعبا من التكذيب بهذا اليوم الواقع بلا ريب [٣] .

ويقول الزركشى فى كتابه البرهان فى علوم القرآن [٤] تكرار قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِين ﴾ فى هذه السورة عشر مرات لأنه سبحانه ذكر قصصا مختلفة ، وأتبع كل قصة بهذا القول ، فصار كأنه قال عقب كل قصة : ويل للمكذبين بهذه القصة ! وكل قصة مخالفة للآخرى فأثبت الويل لمن كذب بها ، ويحتمل أنه لما كان جزاء الحسنة بعشر أمثالها ـ جعل للكفار فى مقابلة كل مثل من الثواب : ويل .

* * *

(١) اسرار التكرار ص ٢١٣ .

(٢) درة التنزيل ص ٥١٥ .

(٣) من بلاغة القرآن : أحمد أحمد بدوي ط / دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ القاهرة .

(٤) البرهان للزركشي ج ٣ صـ ١٩ .

سورة النبأ

(٦٨) فى قوله تعالى ﴿ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُون ﴾

ليس بتكرار ـ فالأول عند النزع ، والثانى فى يوم القيامة

وقيل : الأول ردع عن الاختلاف والثانى عن الكفر

ويجوز : أن تكون الأولى لما ينالهم من هزيمة على أيدى المؤمنين ، والثانية لما ينالهم من عذاب الآخرة [١] .

وذكر الزركشى [٢] أن هذا التكرار فى مقام الوعيد والتهديد ، وذكر « ثم » فى المكرر دلالة على أن الإنذار الثانى أبلغ من الأول وفيه تنبيه على تكرر ذلك مرة بعد أخرى وإن تعاقبت الأزمنة ولا يتطرق إليه تغيير ، بل هو مستمر دائماً .

(٦٩) قال الحق سبحانه وتعالى فى الآية (٢٦) ﴿ جَزَاءً وِفَاقًا ﴾ .

وقال بعدها فى الآية (٣٦) ﴿ جَزَاءً مِن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾

الجزاء الأول للكفار . حيث ذكر بعد ذكر أنواع العذاب الذى أعد للكفار .

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لاَّبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لاَّ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلاَ شَرَابًا (٢٤) إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) ﴾ الآيات من ٢١ ـ ٢٦)

أما الثانية فهى للمؤمنين وجزائهم جزاء وافيا كافيا ـ فلهذا قال : عطاءً حسابا أى كافيا ، كقولك : حسبى وكفانى [٣] .

* * *

(١) أسرار التكرار ص ٢١٣ .
(٢) البرهان ج ٣ صـ ١٧ .
(٣) نفس المصدر السابق صـ ٢١٤ .

سورة النازعات

(٧٠) جاء فى هذه السورة الكريمة :

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ الطَّآمَّةُ الكُبْرَى ﴾ الآية (٣٤)

وجاء فى السورة التالية لها (سورة عبس)

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ الصَّاخَّة ﴾ الآية (٣٣)

هاتان الآيتان الكريمتان فى موقعهما فى كل من السورتين تبينا سرا من أسرار ترتيب سور القرآن الكريم وأن هذا الترتيب المصحفى للسور إنما هو من عند الله العزيز الحكيم . . فاختصت سورة النازعات بقول الحق سبحانه وتعالى عن يوم القيامة بأنها الطآمة الكبرى .

لأن الطامة [١] مشتقة من : طممت البئر ، إذا كبستها . وسميت القيامة طامة لأنها تكبس كل شىء وتكسره .

وسميت فى سورة عبس بـ (الصاخة) من الصخ : أى الصوت الشديد لأنه بشدة صوتها يجثو لها الناس .

كما ينتبه النائم بالصوت الشديد

وخصت سورة النازعات بالطآمة : لأن الطم قبل الصخ ، والفزع قبل الصوت فكانت هى السابقة

وخصت سورة عبس بالصاخة لأن الصخ بعد الطم . . فكانت عبس فى ترتيبها المصحفى بعد النازعات . .

---

(١) طم الشيء ـ طموما : كثر حتى عظم ، عم ، ومنها طم التراب البئر : أى ردمها وسواها بالأرض ، وطم الإناء وغيره ، ملأه حتى فاض (انظر المعجم الوسيط ج٢ ص ٥٨٦ ، ص ٥٨٧ باب ط . م . م) .

سورة البلد

(٧١) قال تعالى : ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ ﴾

هنا تكرر ذكر البلد مرتين متتاليتين ، وجعله فاصلا فى الآيتين ، ومما ذكر فى هذه السورة على الخصوص أن التقدير : لا أقسم بهذا البلد : وهو حرام وأنت حل بهذا البلد : وهو حلال (لك) [١] أى أقسم بهذا البلد وهو حرام ، وأقسم به وهو حلال لك ، لأنها أحلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج الشيخان وأبوداوود عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « إن الله تعالى حبس عن مكة الفيل ، وسلط عليهم رسوله والمؤمنين وإنها لم تحل لأحد قبلى ، وإنما حلت لى ساعة من نهار وإنها لن تحل لأحد بعدى » .

وبذا اختلف المعنى المقصود فى ذكر البلد فى الآية الأولى عن المعنى المقصود فى ذكر البلد فى الآية الثانية فاختلف المعنى واتفق اللفظ .

قال الزركشى [٢] فى قوله تعالى ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ ﴾ يريد مكة .

﴿ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ ﴾ يمكن أن يريد به المدينة .

ويكون فى الآيتين تعريض بحرمة البلدين [٣] حيث أقسم بهما ، وتكراره البلد مرتين دليل على ذلك ، وجعل الاسمين لمعنيين أولى من أن يكونا لمعنى ، واحد وأن يستعمل الخطاب فى البلدين أولى من استعماله فى أحدهما بدليل وجود الحرمة فيهما (والله أعلى وأعلم) .

* * *

(١) أسرار التكرار ص ٢١٩ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ج ٢ صـ ١٣٩ ، صـ ١٤٠ .

(٣) قال ﷺ : « إن إبراهيم حرم مكة وأنا حرمت المدينة » .

سورة الشرح

(٧٢) قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ ليس فى الآيتين تكرار .

لأن المعنى إن مع العسر الذى أنت فيه من مقاساة الكفار يسرا فى العاجل وإن مع العسر الذى أنت فيه من الكفار يسرا فى الآجل فالعسر واحد ، واليسر اثنان[١] .

وعن عمر رضى الله عنه قال : (لن يغلب عسر يسرين) .

وعن النبى ﷺ قال[٢] : لو جاء العسر فدخل هذا الجحر لجاء اليسر فدخل عليه حتى يخرجه ، فأنزل الله تعالى ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾

* * *

(١) أسرار التكرار ص ٢٢ .

(٢) رواه الطبرانى والبيهقى فى الشعب عن أنس رضى الله عنه .

سورة العلق

(٧٣) قوله تعالى ﴿ اقْرأ بِاسْمِ رَبِكَ ﴾ . الآية ١ ، وبعدها ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمَ ﴾ الآية (٣)

وكذلك ﴿ الذى خَلَقَ ﴾ الآية (١) وبعده ﴿ خَلَقَ الإنسَانَ ﴾ الآية (٢)

ومثله ﴿ عَلَّمَ بِالقَلَمْ ﴾ فى الآية (٤) ﴿ عَلَّمَ الإنْسَانَ ﴾ الآية (٥)

ليس هذا بتكرار لأن قوله (اقرأ) مطلق ، فقيده بالثانى

و ﴿ الذى خَلَقَ ﴾ : عام ، فخصه بما بعده : ﴿ خَلَقَ الإنسَانَ ﴾

﴿ عَلَّمَ بِالقَلَمْ ﴾مبهم ، ففسره فقال : ﴿ عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

وقيل إن ﴿ اقْرأ ﴾ الأولى خاصة بالقرآن حفظا وتأملا ، وقرنها بقوله ﴿ بِاسْمِ رَبِكَ ﴾ تنبيها على الاستعانة به تعالى فى فهم مراده من كتابه . ﴿ اقْرأ ﴾ الثانية مراد بها جميع العلوم المدونة التى تعين على زيادة الإيمان وقوته ، بالاستعانة بالله وبفيض كرمه ، ولذلك قال : ﴿ عَلَّمَ الإنسَانَ ﴾ بعد قوله ﴿ عَلَّمَ بِالقَلَمْ ﴾

وقيل [١] فى قوله تعالى :

﴿ الذى خَلَقَ ﴾ . . ﴿خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَق ﴾ ﴿خَلَقَ ﴾ الأولى حث على التأمل فى صفة الخلق جميعه بالاستعانة به سبحانه و﴿خَلَقَ ﴾ الثانية تختص بخلق الإنسان من علق

وقوله تعالى : ﴿ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ . . علم الأولى : هى العلوم المكتوبة المدونة بالقلم مما يعين على الإيمان .

﴿ عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(علم) الثانية : هى العلم الموهوب من الله تعالى .

---

(١) البرهان : للكرماني : هامش صـ ٢٢٢ تحقيق عبد القادر أحمد عطا .

سورة التكاثر

(٧٤) قال تعالى : ﴿ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ . . الآية (٣)

﴿ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ . . الآية (٤)

إلى أى شىء يشير هذا التكرار الكريم ؟ للإجابة : نقول :

إن أحدهما توعد غير ما توعد به الآخر

فالأول : توعد بما ينالهم فى الدنيا .

والثانى : توعد بما أعد لهم فى الآخرة .

وقيل الأول ما يلقونه عند الفراق إذا بشروا بالمصير إلى النار

والثانى : ما يرونه من عذاب القبر

فكلاهما عذاب فى الدنيا إلا أن أحدهما غير الآخر (ولكنه) هو مثله فى الشدة فلذلك أعيد بتلك اللفظة ، وإذا حمل على عذاب الدنيا ، وعذاب الآخرة لم يكن تكرارا .

﴿ كَلاَّ لَو تَعْلَمُونَ علمَ اليَقِينْ ﴿٥﴾ لَتَروْنَ الجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُم لَتَروُنَهْا عَيْنَ اليَقِينِ ﴿٧﴾ ﴾ عن التكرار فى (لَتَروْنَ الجَحِيمَ ﴾ ﴿ ثُم لَتَروُنَهْا ﴾ الرؤية الأولى قبل الدخول والثانية بعد الدخول ، ولهذا قال بعده (عين اليقين) : أى عيانا لستم عنها بغائبين . وقيل : الأول من رؤية القلب والثانى من رؤية العين [١] ، وعلم اليقين : هو رؤية ما ليس مشهودا من الأمور الغيبية وكأنه مشاهد محسوس . وجاء بعدها (ثم) الدالة على التراخى ، وقال (لترونها عين اليقين) أى مشاهدة محسوسة بالعين يوم القيامة

---

(١) البرهان للكرماني تحقيق عبد القادر أحمد عطا صـ ٢٢٤ .

سورة الكافرون

(٧٥) عن التكرار فى هذه السورة نقول والله أعلم ، قوله تعالى : ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ : أى لا أعبد الأصنام لعلمى بفساد ذلك .

﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ : ولا أنتم تعبدون الله لجهلكم بما يوجب عليكم .

﴿ وَلَآ أَنَاْ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ : ولا أعبد عبادتكم أي لا أسلكها ولا أقتدى بها .

﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ : أي لا تقتدون بأوامر الله وشرعه فى عبادته .

وقيل أن المشركين قالوا له عليه الصلاة والسلام : أعبد سنة ما نعبد ، ونعبد سنة ما تعبد ، ونشرك نحن وأنت فى أمرنا كله .

ـ فقال فى الأول : لا يكون منى عبادة الأصنام لعلمى ببطلانها ، ولا تكون منكم عبادة الله لجهلكم بأنه وحده هو الذى تحق له العبادة

ـ وقال فى الثانى ما نفى العبادة التى دعوا إليها مناوبة منهم ، فلم يقع تكرار على هذا الوجه [١] ـ وتعالى الله العليم الخبير الذى أحكم آيات كتابه الجليل ، فلم يكن فيه تكرار بل كان تبيانا .

وقيل : التكرار (فى هذه السورة) اختصار ، وهو إعجاز لأن الله نفى عن نبيه عبادة الأصنام فى الماضى والحال والمستقبل ونفى عن الكفار المذكورين عبادة الله فى الأزمنة الثلاثة أيضا ، فاقتضى القياس هذا التكرار [٢] ..

* * *

(١) درة التنزيل ص ٥٣٦ .

(٢) أسرار التكرار ص ٢٢٦ .

سورة الناس

(٧٦) فى سورة الناس تكرر لفظ ﴿ النَّاس ﴾ خمس مرات فى فواصل هذه السورة ، وهى ست آيات ، فقد ختمت أواخر خمس منها بالناس وواحدة بالخناس .

نقول والله أعلم : إنما اتصف الله تعالى أولا بـ ﴿ بِرَبِّ النَّاس ﴾ ثم بـ ﴿ مَلِكِ النَّاسِ ﴾ ثم بـ ﴿ إِلَهِ النَّاس ﴾ لحكمة دعت إلى ذلك ، وأوجبت تقديم الأول وتعقيبه بالثانى والثالث على الترتيب الذى جاء ، لأن رب الشىء هو القائم برعايته وتربيته وتدبير أموره فقدم ذلك

والثانىّ : إنعامه عليه بالعقل الذى به علم الإنسان أنه عبد مملوك لله ، فجعل الوصف الثانى ﴿ مَلِكِ النَّاسِ ﴾ ـ ولما كان بعد ذلك تكليفه بالعبادات التى هى حق لله تعالى على من عرف أنه عبد مملوك لله ، وعرف أنه عز وجل خالقه ، وتلزم طاعته فجعل الوصف الثالث ﴿ إِلَهِ النَّاس ﴾ . فصار الناس الذين أضيف إليهم رب كأنهم غير الناس الذين أضيف إليهم ملك ، والذين أضيف إليهم ملك كأنهم غير الذين أضيف إليهم إله . فلم يكن ذلك تكرارا فى لفظ « الناس » وقوله تعالى ﴿ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ فالمراد بالناس الأول الأبرار ، وبالناس الثانى الأشرار فكان المعنى الذى يوسوس فى صدور الناس الأخيار ، من الجن وأشرار الناس [١] . الذي قال فيهم ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاس ﴾

الحمد لله تم بحمد الله وتوفيقه .

---

(١) درة التنزيل ص ٥٣٧ ، ص ٥٣٨ (بتصرف) .

المراجع

١ ـ القرآن الكريم

٢) تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن)

الإمام شمس الدين أبى عبد الله القرطبى الناشر : دار الغد العربى ـ القاهرة

٣) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ أبى الفداء إسماعيل بن كثير

طباعة : دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة

٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقى ط / دار الحديث

٥) من بلاغة القرآن أحمد أحمد بدوى

ط / دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة

٦) درة التنزيل وغرة التأويل الخطيب الإسكافى برواية أبى الفرج الأردستانى

الناشر : دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ١٩٧٢

٧) البرهان (اسرار التكرار فى القرآن) محمود بن حمزة الكرمانى ـ تحقيق عبد القادر أحد عطا الناشر : دار الاعتصام ١٩٧٨

٨) تأويل مشكل القرآن ابن قتيبه ـ تحقيق السيد أحمد صقر ط / دار التراث

٩) أضواء على متشابهات القرآن الشيخ خليل ياسين

دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ـ لبنان

١٠) قواعد وفوائد لفقه كتاب الله تعالى عبد الله بن محمد الجوعى

طباعة دار الوطن للنشر ـ الرياض ـ السعودية

١١) البرهان فى علوم القرآن الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى

ط / مكتبة دار التراث ـ القاهرة

١٢) تأويل مشكل القرآن

لابن قتيبة (من سلسلة تقريب التراث) إعداد د . عمر محمد سعيد بن عبد العزيز

إشراف ومراجعة : د . عبد الصبور شاهين ط / مركز الأهرام للترجمة واللغات .

الفهرس

المقدمة : وتشتمل علي : ٣

* التكرار والتشابه في القرآن ٥

* من فوائد التكرارفى القرآن ٧

التكرار والتشابه فى بعض سور القرآن الكريم .....

سورة الفاتحة ٩

سورة البقرة ١٠

سورة النساء ١٦

سورة المائدة ١٨

سورة الأنعام ٢٣

سورة الأعراف ٢٥

سورة الأنفال ٣٠

سورة التوبة ٣٢

سورة يونس ٣٥

سورة هود ٣٧

سورة يوسف ٣٩

سورة الحجر ٤٠

سورة الكهف ٤١

سورة مريم ٤٣

سورة طه ٤٤

سورة الأنبياء ٤٨

سورة الحج ٥٠

سورة الفرقان ٥٢

سورة الشعراء ٥٤

سورة القصص ٥٨

سورة لقمان ٦٠

سورة الصافات ٦٢

تابع الفهرس

سورة الزمر ٦٤
سورة غافر ٦٧
سورة الشورى ٦٨
سورة الزخرف ٦٩
سورة الأحقاف ٧٠
سورة الذاريات ٧١
سورة الرحمن ٧٣
سورة الطلاق ٧٤
سورة الملك ٧٥
سورة الحاقة ٧٦
سورة المعارج ٧٧
سورة المزمل ٧٨
سورة المدثر ٧٩
سورة المرسلات ٨٠
سورة النبأ ٨١
سورة النازعات ٨٢
سورة البلد ٨٣
سورة الشرح ٨٤
سورة العلق ٨٥
سورة التكاثر ٨٦
سورة الكافرون ٨٧
سورة الناس ٨٨
المراجع ٨٩
الفهرس ٩٠